قراءةٌ نقدية تحليلية في كتاب إعلام الكلام لابن شرف القيرواني[1]

دكتور/ سعد بن ماشي العنزي
أستاذ الأدب المساعد –جامعة الجوف
وكيل كلية العلوم والآداب بالقريات

جاء هذا البحث ليتناول كتاب إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ، لأبي عبيد الله محمد بن شرف ؛لسببين أما الأول فهو أنه يمثل قيمة نقدية عظيمة الفائدة ؛ إذ يقدم لنا خلاصة الخلاصة في النقد الأدبي ، وفيما قيل عن الشعراء الذين تعرض لهم بالنقد مدحاً أو قدحاً في أسلوب شيق على طريقة كليلة ودمنة ، وعلى طريقة المقامات ، أما الآخر فهو يبين مدى إفادة ابن شرف من سابقيه وما أضافه من آراء نقدية ، وقد جاء هذا البحث ؛ ليناقش هذا الكتاب من خلال التعريف بمؤلفه ، وطريقته في التناول ، وأسلوبه ، وأخيرًا دراسة القضايا النقدية التي شملها هذا الكتاب بالتحليل والمناقشة، ومما لا شك فيه أن العلم بنيان يبني لاحق بسابقه فإن الدراسات التي تناول كتاب إعلام الكلام بالدراسة النقدية قلية ، ولم يصل إليها الباحث (٢) .

وسنحاولُ – إن شاء الله تعالى– في هذا البحثِ أن نقدمَ دراسةً نقدية تحليلية لهذا لكتاب من خلالِ المحاورِ الآتيةِ :

المبحث الأول : و يشتمل على مسألتين :

١- ابن شرف القيرواني حياته وعلمه .

٢- وصف الكتاب.

المبحث الثاني : قراءةٌ نقدية تحليلية في الكتاب ، و يشتمل على :

---

[1] –هذا البحث مدعوم من وكالة الجامعة الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الجوف تحت مشروع بحثي رقم( )

[2] – ومنها :عبير عبدالستار فتح الله :القضايا النقدية في كتاب مسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني، ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات الإسكندرية ، جامعة الأزهر ،٢٠٠٧م ، و فازية مصباحي القضايا النقدية في كتاب مسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات جامعة مولود معمري تيزي وزو ،٢٠١٢م.

المطلب الأول : طريقة الكتاب وأسلوب المؤلف .

المطلب الثاني : القضايا النقدية في الكتاب .

القضية الأولى : ذكر الشعراء و منازلهم.

القضية الثانية : بيان سقطات عدد من الشعراء وبعض العيوب في الشعر.

الخاتمة ، وتضم أهم النتائج التي يتوصل إليها البحث .

ثبت بالمصادر والمراجع .

والله أسأل التوفيق والسداد .

المبحث الأول:

١ – ابن شرف القيرواني حياته وعلمه:

ابن شرف القيرواني صاحب هذه الرسالة ، هو " محمد بن أبي سعيد محمد المعروف بابن شرف الجذامي القيرواني الأديب الكاتب الشاعر أبو عبد الله: روى عن أبي الحسن القابسي وأبي عمران الفاسي، وقرأ النحو على أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز، وأخذ العلوم الأدبية عن أبي إسحاق إبراهيم الحصري وغيرهم، فبرع في الكتابة والشعر، وتقدم عند الأمير المعز بن باديس أمير أفريقية، وكانت القيروان في عهده وجهة العلماء والأدباء تشد اليها الرحال من كل فجّ لما يرونه من إقبال المعز على أهل العلم والأدب وعنايته بهم، وكان ابن شرف وابن رشيق صاحب «العمدة» متقدمين عنده على سائر من في حضرته من الأفاضل والأدباء، فكان يقرب هذا تارة ويدني ذاك تارة، فتنافسا وتنافرا ثم تهاجيا، ولكن لم يتغير أحدهما على الآخر بما جرى بينهما من المناقضات. ولم يزل ابن شرف ملازمًا لخدمة المعز الى أن هاجم عرب الصعيد القيروان واضطر المعزّ الى الخروج منها إلى المهدية سنة سبع وأربعين وأربعمائة فخرج ابن شرف وسائر الشعراء معه إليها واستقروا بها، فأقام ابن شرف مدة بالمهدية ملازما خدمة المعز وابنه تميم، ثم خرج منها قاصدا صقلية ولحق به رفيقه ابن رشيق، فاجتمعا بها ومكثا بها مدة، ثم استنهضه ابن شرف على دخول الأندلس ... ثم شخص ابن شرف منفردا إلى الأندلس وتنقل في بلادها وسكن المرية بعد مقارعة أهوال ومقاومة خطوب، وتردد على ملوك الطوائف كآل عباد وغيرهم، وتوفي بإشبيلية سنة ستين وأربعمائة."(١) ولابن شرف القيرواني مؤلفات كثيرة ؛ منها

---

١ – شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) : معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ت: إحسان عباس ، دار العرب الإسلامي ،بيروت ، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ،ج٦/ ٢٦٣٦،٢٦٣٧ ، وانظر صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي: الوافي بالوفيات : ، طالعه يحيى بن حجي الشافعي بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤، أحمد بن سعود تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م ، ج٣/ ٨٢،وانظر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ،سنة الولادة ٨٤٩هـ/ سنة الوفاة ٩١١هـ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر : المكتبة العصرية ، مكان النشر : لبنان / صيدا ، ج١/١١٤.

"أبكار الأفكار " وهو كتاب حسن في الأدب يشتمل على نظم ونثر من كلامه "(١) ، ومنها : كتاب إعلام الكلام موضوع هذه الدراسة .(٢)

٢ – **وصف الكتاب :**

هو كتيب صغير الحجم ، عظيم النفع ، طبعته مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية ، الموافق لسنة ست وعشرين وتسعمائة وألف ميلادية ، وقد عني بتصحيحه وضبط بعض ألفاظه عبدالعزيز أمين الخانجي ، وقد أشار إلى أمرين مهمين :

الأول :أن الأصول الخطية لهذه الرسالة موجودة في مكتبة أحمد باشا طلعت ، وأن الذي أمدهم بتلك النسخ الخطية للرسالة هو أحمد بك طلعت نجل المرحوم أحمد باشا طلعت(٣)

أما الأمر الثاني: فهو أن أحد الأفاضل التونسيين واسمه: (حسني أفندي عبدالوهاب)، قد نشر هذه الرسالة في مجلة المقتبس تحت اسم رسائل الانتقاد ، وقد خيل لحضرته أن رسائل الانتقاد هذه هي غير إعلام الكلام ، كما أشار بذلك في مقدمته (٤) ، وهي منقولة –كما يقول –من نسخة تونسية تشتمل على ستين صفحة ، وهي نسخة رديئة ،أكملها من مكتبة الأسكوريال (٥)، يقول عبدالعزيز الخانجي : "ومع ذلك فقد وجدنا بمطابقتها على النسخة الخطية التي اعتمدنا عليها في الطبع أنها كثيرة النقص والتحريف"(٦) .

ويضيف عبدالعزيز الخانجي : "وفي يقيننا أن النسخة التي بين يدي القراء ، هي أصح النصح وأضبطها ؛لأنها منقولة من نسخة خطية صحيحة ملوكية ، كُتبت برسم أحد أعيان الشام (٧) ، وهو بهرام أفندي ، مقابل الدفاتر السلطانية بالشام ، وكتبها

---

١ –الوافي بالوفيات ، ج٣/ ٨٢، وانظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ، ج١/١١٤.

٢ – أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني: إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ، ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط١ ، ١٣٤٤هـ – ١٩٢٦م ص ١١ ، و الأعلام ج٦/ ١٣٨ وما بعدها

٣ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ، ص ٤.

٤ – السابق ص١٢.

٥ – السابق ص١٢.

٦ – السابق ص١٢.

٧ – السابق ص١٢.

المصطفى بن محب الدين الشافعي (١)، وهذه النسخة هي التي بين أيدينا ، والتي أعدت من خلالها هذه الدراسة ، وهي كُتيب مطبوع في خمس وخمسين صفحة ، في أوله اثنتا عشرة صفحة للعنوان وصورة لأحمد بك طلعت ، ومقدمتان للناشر المحقق (عبدالعزيز الخانجي)، وشكر وترجمة لأحمد بك طلعت ولوالده أحمد باشا طلعت .

وفي آخر الكتاب صفحة الخاتمة ، وفيها أن الكاتب انتهى من كتابة هذا الكتاب في أواخر شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وألف من الهجرة الشريفة (٢) ، وبذلك تكون جملة صفحات المقدمات والخاتمة ثلاث عشرة صفحة ، ويبقي من صفحات الكتاب الخمس والخمسين اثنتان وأربعون صفحة ، وهي تشتمل على رسالة الانتقاد حسب النسخة التونسية ، وتقع في ثلاث وثلاثين صفحة ، تنتهي بالصفحة رقم ست وأربعين . أما بقية الكتاب وهي تسع صفحات – من سبع وأربعين إلى أربع وخمسين – فهي بقية الرسالة ، وهي مجموعة من الأبيات المختارة لأحسن النماذج الشعرية وأجودها في أغراض شتَّى ، وتعد تطبيقاً على آراء ابن شرف النقدية في الجزء الأول من الكتاب ، ولكنها بدت في صورة رسالة مستقلة على الرغم من كونها نماذج من مستحسن الأشعار التي جمعت ما رآه من ميزات أجود الشعر في فنونه المختلفة .

أما الجزء الأول من الكتاب ، وإن شئت فقل : وأما الرسالة الأولى والتي جاءت مطبوعة في ثلاث وثلاثين صفحة ، فقد أوجز فيها ابن شرف مزايا وعيوب خمسة وخمسين شاعرًا؛ من الجاهليين والإسلاميين ، والأمويين ، والعباسيين ، والأندلسيين ، بدأهم بامرئ القيس بن حجر الكندي(٣)، وختمهم بأبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الكندي (٤)الكوفي ،أما الأندلسيون فلم يذكر منهم إلا أربعة من المتأخرين وهم : ابن عبد ربه ، وابن هانئ ، وابن درّاج القسطلي ، وأبو علي التونسي.

والكتاب في جملته – على الرغم من صغر حجمه– قيمة نقدية عظيمة الفائدة ،إذ يقدم لنا خلاصة الخلاصة في النقد الأدبي ، وفيما قيل عن الشعراء الذين تعرض لهم بالنقد مدحاً أو قدحاً.

---

١ – السابق ص ١٠

٢ – السابق ص ٥٥.

٣ - إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد ص١٤.

٤ – السابق ، ص ١٥

وأما طريقة عرض ابن شرف لقضايا الكتاب ، فقد جاءت في صورة ليست من ابتكاره ولكنها من اختياره، وإذا كان الاختيار دالاً على عقل الرجل فقد أحسن ابن شرف في طريقة عرضه كل الإحسان .

لقد اختار ابن شرف هذه الطريقة لمؤلَّفِه :"لتتعلق به شهوات الأحداث ، وتستعذب بثمره ألفاظُ الحداث " (١)–كما يقول ابن شرف نفسه – وأما الطريقة فهي طريقة كتاب (كليلة ودمنة) ، حين أضاف المؤلف حكمه إلى حكم الحيوان والطير ، وأنطق بما يريد قوله ألسنة الوحش والبهائم(٢)، وهي الطريقة نفسها التي ابتدعها (بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني) (٣) في مقاماته ، فقد كان ينسبها إلى راوية رواها له ، يسميه عيسى بن هشام ويزعم عيسى بن هشام بدوره أنه يحدثه بها عن بليغ يسميه أبا الفتح الإسكندري(٤) .

وعلى طريقة كليلة ودمنة ، وعلى طريقة المقامات أقام ابن شرف أحاديثه في هذا الكتاب على لسان رجل اسمه (أبو ريان الصلت ابن السكن)، وهو من (سلامان) وهو ماء لبني شيبان على طريق مكة إلى العراق، ويعرض المؤلف قضاياه في الكتاب عن طريق حوار متخيل بينة وبين أبي الريان ، فيسأل هو وأبو الريان يجيب ويوضح.

---

١ – السابق ص١٣

٢ السابق ص١٣

٣ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص ١٣.

٤ – السابق ص ١٤.

المبحث الثاني : قراءةٌ نقدية تحليلية في كتاب إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) :

المطلب الأول : طريقة الكتاب وأسلوب المؤلف:

يبدأ ابن شرف هذه الرسالة (إعلام الكلام) بقوله :" هذه أحاديثُ صنعتُها مختلفة الأنواع، مُؤتلفة في الأسماع ؛ عربيّات المَواشِم ، غَريبات التراجم، واختلفتُ فيها أخباراً فصَيحاتُ الكلام، بديعاتُ النظام ؛ لها مَقاصدُ ظِراف، وأسانيد طِرَاف؛ يَروق الصغيرَ معناها، والكبيرَ مَغْزاها. وعزوتُها إلى أبي الرِّيان الصَّلْت بن السّكْن، من سَلامان، وكان شيخاً هِمّا في اللسان، وبدراً تِمّاً في البَيان؛ قد بقي أحقابا ، ولقي أعقابا ؛ ثم ألقتْه إلينا من باديته الأزمات ، وأوردته علينا المعجزات ، فامتَحْنا من علمه بحراً جارياً ، وقدحنا من فَهمه زَنْداً واريا ؛ وأدرنا مِن برّه طَرَفا"(١)

بهذه العبارات المسجوعة في غير تكلف، والتي لا ترى فيها لفظاً نابياً ولا ثقيلاً ، ولا مستكرهاً ، ولا حلت فيها كلمة في غير محلها من العبارة ؛ فأفصحت عن تمكن ابن شرف القيرواني من ناصية العربية ، وأبانت عن قدرة تعبيرية سامقة المباني ، دقيقة المعاني في غير لبس أو غموض ، كشف ابن شرف القيرواني عن براعة أسلوبية ، وقدرة بيانية بديعة الجمال ، مع دقة في إصابة الغرض وتوضيح المعاني ، فهو لم يجانب الصواب حين يقول عن أحاديثه إنها :"مختلفة الأنواع ، مؤتلفة في الأسماع " ، أو حين يقول عن محاوراته مع راويته (أبي الريان) " واختلفتُ فيها أخباراً فصَيحاتُ الكلام، بديعاتُ النظام "...ثم يقول عن أحاديثه النقدية الصادقة الموجزة :" يَروق الصغيرَ معناها، والكبيرَ مَغْزاها " .

لا ترى في الكلام لفظاً لم يؤدِ معناه على أكمل وجه ، ومع التزامه هذا السجع البديع ، نأى عن التكلف والابتذال ؛ فلم يأتِ سجعه فارغ المضمون كسجع الكهان ، وإنما جاء كل لفظ منه في موضعه الممكن فيه ؛ لأن المعنى هو الذي استدعاه ، والمبنى لا يتم بدونه .

---

١ – السابق ص١٣.

ثم انظر إلى هذه المطابقة الرائعة أو التضاد "وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك "(١) بين الأحاديث (مختلفة الأنواع) و(المؤتلفة في الأسماع) ، فضلًا عن هذه الفواصل المتجانسة المتناغمة في مخارج حروفها ، وفي جَرْس حركاتها وسكناتها .

ولا يخفى على المتمعن هذا الانسياب الموسيقي مع المطابقة والمجانسة ودقة أداء المعنى في قوله : " يَروق الصغيرَ معناها، والكبيرَ مَغْزاها " ، فللصغير من أحاديث ابن شرف حظٌ ومتعة في معانيها القريبة ، وللكبير من الخاصة متعة في مراميها البعيدة التي تتطلب إعمال الفكر بتؤدة وروية ، وهذا ما عبر عنه ابن شرف بلفظي (معناها ومغزاها) ، مع ما فيهما من تجانس وجرس موسيقي باتحاد الفاصلة .

أما قوله :" وعزوتها إلى(أبي الريان الصلت بن السكن) ، ففيه من سعة الخيال القصصي ما يجعل القارئ يقبل على قراءة هذه الأحاديث أو سماعها دو سأم أو ملل ؛ وهي طريقة اتبعها الأوائل في قصص (كليلة ودمنة) (٢) ، وفي قصص (المقامات) التي ابتكرها (بديع الزمان الهمذاني) ، ونحا نحوه غيره من أصحاب المقامات الذين جاءوا من بعده .

وإذ يحتذي ابن شرف هذه الطريقة ، يقصد إلى ما ذكرته من تعلق القارئ والسامع، لما فيها من متعة وعذوبة ، ولذلك يقول :" فأقمت من هذا النحو عشرين حَديثاً، أرجو أن يتبيّن فضلُها، ولا تُقَصِّرُ عما قبلها "(٣)، كما أشار قبل ذلك إلى ما في هذه الطريقة من متعة إذ يقول :" لتتعلق بها شهوات الأحداث ، وتستعذب بثمره ألفاظ الحادث "أي: المتحدثين بما في الكتاب من عذب الألفاظ .

المطلب الثاني : القضايا النقدية في الكتاب :

القضية الأولى : ذكر الشعراء و منازلهم:

يدور الحوار بين ابن شرف وأبي الريان الذي يعزو إليه آراءه ، والذي وصفه في بداية حديثه بدقة الفهم،وتمام البيان، وأنه عاش طويلًا ، ولقى أعقاباً ، وجاء من

١ – د. محمد خطابي :لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م ، ص٢٥.

٢ - إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص١٣.

٣ – السابق ص ١٤.

البادية وقد عركته التجارب ، فعلمه بحرٌ جارٍ ، وفهمه زندٌ وارٍ ، وثمار طرفه جنى دانٍ (١) ، وهذا الوصف في الحقيقة وصف لابن شرف نفسه ، وعلمه وفضله ، والرجل – فيما يبدو – لم يكن مبالغاً فيما ذهب إليه

وعلى أية حال ، يخلص ابن شرف – من خلال حواره مع صاحبه أبي الريان – إلى أن الشعراء في الجاهلية والإسلام حتى (بداية القرن الخامس الهجري) أكثر من الإحصاء ، وأن أشعارهم أبعد من شقة الاستقصاء ، فهو لم يذكر إلا المشهورين ولن يبدي رأيه إلا في المذكورين(٢) مع التزامه بمنهج خطه لنفسه في ترتيب الشعراء سيتضح عند تناول القضايا النقدية في هذا الكتاب فالعبرة عنده فيما يحمله اللفظ من معان حتى وإن كان قائله من المحدثين ، وهو في هذا قد نحا منحى ابن قتيبة ، إضافة إلى هذا فإنه أعلى من الجانب الأخلاقي في اتخاذه نموذجًا أعلى في الحكم على الشعراء (٣) .

وفي هذا المجال ، عدد خمسة وخمسين شاعراً ، من امرئ القيس إلى المتنبي

وحين يعد ابن شرف هؤلاء الشعراء ، يذكر بعضهم بلقبٍ(٤) اشتهر بها ، ومن ذلك : الضليل : و يعني امرأ القيس ، والقتيل : يريد طرفة بن العبد ، والنوابغ : يقصد : النابغة الذبياني ، والنابغة الجعدي والأعشى وغيرهم ، ويذكر بعضهم باسمه(٥) ، ومن هؤلاء : لبيد ، وعبيد ، وعامر بن الطفيل . وأحيانا يذكر الاسم مع لقب اشتهر به الشاعر ، ومن هؤلاء : نصر الخبزأرزّي ، وكشاجم الفارسي ، وعلي بن العباس الإيادي التونسي.

ولما عدد ابن شرف هذه الأسماء ، أراد أن يعرف رأي أبي الريان في كل واحد منهم ، قال أبو الريان :" لقد سَمّيتَ مشاهير، وأبقيت الكثير قلت: بلى،

---

١ – السابق ص ١٣ بتصرف.

٢ - إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص ١٤ بتصرف .

٣ – انظر ص من هذا البحث

٤ – اللقب هو " ما أشعر بمدح كزين العابدين أو ذم كأنف الناقة." انظر ابن عقيل :شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل تأليف : محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط٢٠، دار التراث القاهرة ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م ، ج١ /١١٩ .

٥ – المراد بالاسم هنا ما ليس بكنية ولا لقب كزيد وعمرو" شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج١ / ١١٩ .

ولكن ما عندك فيمن ذكرت؟" (١) ، يقول ابن شرف ::" قلت : بلى ، ولكن ما عندك فيمن سميت لك؟"(٢) وهنا يبدأ ابن شرف نقده لهؤلاء الشعراء في دقة متناهية ، وفي إيجاز رائع ،إذ يقول أبو الريان ، وقد سأله ابن شرف : ماعندك فيمن سميت لك ؟ فيقول : " أما (الضليل مؤسس الأساس وبنيانه عليه الناس "(٣) . وهذه عبارة نقدية موجزة ، جمعت بين مفرداتها كل ما قيل عن امرئ القيس بن حجر الكندي . ولم يكتف ابن شرف بهذه العبارة الموجزة الدقيقة البليغة التي يفهما الخاصة من النقاد ، ولكنه أضاف تفصيلاً للعبارة في غير إسهاب يفهمه مَنْ هم دون الخاصة من أهل هذا الفن ،إذ يشرح العبارة قائلا :" كانوا يقولون :أسيلة الخد حتى قال امرؤ القيس :أسيلة مجرى الدمع" ، وكانوا يقولون : تامة القمة ، وطويلة القامة ، وأشباه هذا ، وجيداء وتامة العنق ، حتى قال امرؤ القيس : بعيدة مهوى القُرط ، وكانوا يقولون في الفرس السابق: يلحق الغزال ، ويسبق الظليم" وأمثال هذا حتى قال :

بِـمُنْجَرِدٍ قَـيْـدِ الأَوَابِدِ هَـيْكَلِ

ومثل هذا له كثير ، ولم يكن قبله مَنْ فَطِن لهذا ، وبني مَنْ بعده على هذه الإشارات والاستعارات فحسنت به أشعارهم"(٤) .

ويضيف ابن شرف :" ولامرئ القيس استعارات في أشعاره رائقة وتشبيهات صحيحة لائقة ، تركنا ذكرها لشهرتها ولئلا يطول الكتاب بها"(٥) .

ولعله من الواضح أن ابن شرف–هنا– ذكر من محاسن امرئ القيس ، سبقه إلى اختراع كثير من المعاني والاستعارات والتشبيهات ، وهذه أهم مزايا شعر امرئ القيس ، أما عيوبه فسوف تأتي في حديث آخر . وعلى كل حال ، فإن امرأ القيس يأتي عنده في مقدمة الشعراء .

---

١ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص ١٥

٢ –السابق ص١٥.

٣ – السابق ص١٥ والصحيح :" أما الضليل فمؤسس الأساس وبنيانه عليه الناس" لوجوب اقتران جواب (أما) بالفاء ، أما مضافة من نسخة ، ومن ثم سها المحقق فلم يدخل الفاء على جوابها ، ولولا وجود (أما) لصحت العبارة بدون الفاء :(الضليل مؤسس الأساس وبنيانه عليه الناس).

٤ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص ١٦.

٥ – السابق ص١٦.

أما طرفة بن العبد، فقد لقبه ابن شرف بالقتيل ، وقصة قتله على يد عامل البحرين بأمر عمرو بن هند مشهورة . وكان عمره يوم قتل ستاً وعشرين سنة ، كما جاء في خزانة الأدب إذ يقول البغدادي :" وهو أشعر الشعراء بعد امرئ القيس . ومرتبته ثاني مرتبة ولهذا ثني بمعلقته . وقال الشعر صغيراً . قال ابن قتيبة : هو أجود الشعراء قصيدةً . وله بعد المعلقة شعرٌ حسن . وليس عند الرواة من شعره وشعر عبيدٍ إلا القليل . وقتل وهو ابن ست وعشرين سنة.(١) وقيل : كان عمره عشرين سنة ، كما في الشعر والشعراء إذ يقول ابن قتيبة :" وكان أحدث الشعراء سنّا وأقلّهم عمرا، قتل وهو ابن عشرين سنة، فيقال له «ابن العشرين" (٢) .

وقد أحل ابن شرف طرفة بن العبد المرتبة الثانية بعد امرئ القيس ، وقال عنه :" فلو طال عمره، لطال شعره، وعلا ذكره. ولقد خُصّ بأوفر نصيب من الشعر، على أيسر نصيب من العمر؛ فملأ أرجاء ذلك النصيب بصنوفٍ من الحكمة، وأوصاف من علو الهمة والطبع، معلم حاذق، وجواد سابق. "(٣) .

ويلحظ القارئ في هذه العبارات الموجزة وصفاً جامعاً لشعر طرفة وأخلاقه ، فقد بلغ قمة الإبداع الشعري في عمر لم يجاوز السادسة والعشرين، ولو طال عمره لكان له في ميدان الشعر شأن آخر . ومن أهم ما يميز شعره– على الرغم من حداثة سنه – الحكمة وعلو الهمة شعراً و أخلاقاً وشجاعة ؛ فلم يكن يهاب أحداً حتى هجا سادة عصره ومنهم زوج أخته عمرو بن هند الملك(٤).

أما وضع طرفة في المنزلة الثانية بعد امرئ القيس ، وبعدهما في المرتبة الثالثة يضع الشيخ أبا عقيل لبيد بن ربيعة العامري ، فيدل ذلك على علو منزلة ابن شرف العلمية ، ودقة نظرته النقدية ؛ لأنه وافق في هذا الترتيب رأي لبيد ، فيما رواه أبو عبيدة " وأخبرني أبو بكر عبد الله بن خلف قال: أخبرني سلم بن يزيد قال: أخبرني

---

١ – عبد القادر بن عمر البغدادي :خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ت : محمد نبيل طريفي/أميل بديع اليعقوب ، الناشر : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨م ، ج٢/٣٧٠.

٢ – ابن قتيبة: الشعر والشعراء ،ت: أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بالقاهرة ، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م ، ١/ ١٨٨.

٣ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص١٦.

٤ – الشعر والشعراء ج١/١٨٥.

عيسى بن إسماعيل: أخبرني إسماعيل بن أبي عبيد الله عن هشام بن محمد قال: أخبرني أبي قال: مر لبيد بن ربيعة بالكوفة بمسجد بني نهد وهو يوكأ على محجن له، فلما جازهم أرسلوا إليه فتى منهم فقالوا: الحق أبا عقيل فاسأله: من أشعر العرب؟ فقال الملك الضليل – يعني امرأ القيس – فرجع إليهم فأخبرهم فقالوا له: ارجع إليه فاسأله: ثم من؟ فرجع إليه فقال: ثم من؟ فقال: ثم صاحب المحجن أبو عقيل، يعني نفسه "(١)

فإن كان ابن شرف قد علم بهذه الرواية ، دل ذلك على سعة علم واطلاع، وإن لم يكن علم بها ، دل ذلك على نظرة نقدية ثاقبة ، ودراية واسعة بالشعر والشعراء .

وعن لبيد ، يقول ابن شرف:" وأما الشيخ أبو عقيل فشعره ينطق بلسان الجزالة، عن جنان الأصالة، فلا تسمع له إلا كلاماً فصيحاً، ومعنى متينا صحيحاً؛ وإن كان شيخ الوقار، والشرف والفخار؛ لبادئات في شعره وهي دلائله، قبل أن يعلم قائله."(٢)

ولست بحاجة إلى تكرار ما ذكرته ، من أن ابن شرف يكشف للقارئ عن شخصية الشاعر وشعره بعبارات بلغت الغاية في الإيجاز والوضوح ، فشعر لبيد جزل الألفاظ ، أصيل المنبع ، فصيح العبارة ، قوي المعاني .

ويشير ابن شرف في عبارته الأخيرة عن شعر لبيد : أنه يدل عليه ، وهذه العبارة تذكر القارئ والباحث بمقولة (بيفون) من أن الأسلوب هو الإنسان نفسه ، أو أن : الأسلوب هو الرجل "(٣) ، وتلقف نقادنا المعاصرون هذه المقولة ، وبنوا عليها كثيراً من نقدهم ، ولعل العقاد ، وطه حسين من أكثر النقاد حديثاً في هذا الموضوع . وخلاصة هذه القضية نراها في كلام عباس محمود العقاد الذي دعا إلى مذهب جديد في الشعر، تبدو من خلاله شخصية الشاعر واضحة ، مخالف لغيره من

---

١ – أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ت: عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، ط٥ ، ج١ /٥١١.

٢ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص١٦، ١٧.

٣– انظر د . عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، ط٣ ، ١٩٨٢م ، تونس، ص ٦٠ ، ٦٣ ، و كذلك : (د . فتح الله أحمد سليمان الأسلوبية : مدخل نظري و دراسة تطبيقية)، الدار الفنية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٠م، ص ٩ ، و انظر أيضًا : ، أحمد الشايب: الأسلوب : دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، مكتبة النهضة المصرية – مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط٧ ، ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م ، ص ١٣٤.

المبدعين (١) . وشنَّ هجوماً عنيفاً على أمير الشعر الحديث أحمد شوقي ؛ لأن شعر شوقي لا يدلك على شوقي إذ يقول " فالعيوب المعنوية التي يكثر وقوع شوقي وأضرابه فيها عديدة مختلفة الشيات والمداخل ، ولكن أشهرها وأقربها إلى الظهور وأجمعها لأغلاط عيوب أربعة وهي بالإيجاز: التفكك والإحالة والتقليد والولوع بالأعراض دون الجواهر – وهذه العيوب هي التي صيرتهم أبعد عن الشعر الحقيقي الرفيع المترجم عن النفس الإنسانية في أصدق علاقاتها بالطبيعة والحياة و الخلود من الزنجي عن المدينة من صور الأبسطة والسجاجيد كما يقول ماكولي عن نفائس الصور الفنية "(٢).

ويضيف العقاد أن الشعراء الذين تبدو شخصياتهم من خلال إبداعهم في الشعر العربي قليلون ، وذكر منهم المتنبي والبحتري وابن الرومي (٣).

وهؤلاء لم يصلوا إلى النماذج العليا من الشعر التي لم تتحقق إلا لدى الشعراء الإنجليز(٤) ، ويشاركه آراءه هذه زميلاه – فيما عرف بمدرسة الديوان – عبدالرحمن شكري ، وإبراهيم عبد القادر المازني .

وعلى أية حال ، فإن ابن شرف القيرواني سبقهم جميعاً حين قال :إن شعر لبيد يدلك عليه قبل أن يُعلم من قائله .

ويواصل الناقد الفذ سرد شعراء العربية مرتباً إياهم بحسب رؤيته النقدية الفذة فيقول :

---

١ – ويندرج هذا اللون من النقد تحت مسمى (المنهج النفسي في النقد) . وبه درس طه حسين المتنبي ، في كتابه (مع المتنبي) ، دار المعارف ، ط١٣ ، د ت ، وأبا العلاء المعري في كتاب (مع أبي العلاء في سجنه) ، دار المعارف ، بدون تاريخ . ودرس العقاد كذلك ، أبا العلاء المعري ، في كتابه (رجعة أبي العلاء) ، الطبعة الثانية ، بدون بيانات . وابن الرومي ، في كتابه (ابن الرومي . حياته من شعره ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٣ م ، وأبا نواس ، في كتابه (أبو نواس . الحسن ابن هانئ) ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، د ت . وهناك نقاد كثيرون قدموا دراسات في هذا المجال ، منهم الدكتور عز الدين إسماعيل ، في كتابه (التفسير النفسي للأدب) ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٠م ، والدكتور مصطفى سويف ، وذلك في كتابه (الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، دار المعارف ١٩٥٩م . مما يدل على الترابط الفني بين مراحل النقد الادبي القديمة والحديثة .

٢ – عباس محمود العقاد ، إبراهيم عبدالقادر المازني : الديوان في الأدب والنقد ، دار الشعب ، ط ٤ ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، ص١٢٩

٣ – الديوان في الأدب والنقد ص١٦١

٤ – السابق ص٣٦

٤- وأما العبسي – يعني عنترة بن شداد :" فمجيد في أشعاره ولا كمعلقته ، فقد انفرد بها انفراد سُهيل ، وغَبَّر في وجوه الخيل ، وجمع فيها بين الحلاوة والجزالة ودقة الغزل وغلظة البسالة و أطال و استطال ، وأمن السأمة والكلال "(١).

٥- وعن زهير بن أبي سُلمى ، يقول :" وأما زهير ، فأي زهر بين لهوات زهير ، حِكَمُ فارس ، ومقامات الفوارس ، ومواعظ الزهاد ، ومعْتَبراتُ العُبَّاد ، وأملاتُ التجارب ، ومدح يكسب الفخار ، ويبقي بقاءَ الأعصار ، ومعاتباتٌ مرةً تَحْسُنُ ، ومرةً تَخْشُن ، وتارة تكون هجواً ، وطوراً تكاد تعود شكوى "(٢) . وكما نرى ، فإن هذا الرأي يعد وصفًا جامعًا لمزايا شعر عنترة العبسي ، وزهير بن أبي سُلمى ، مما يضعه في منزلة النقد ، ولو بطرف خفي .

٦-وعن الحارث بن حِلِّزة يقول :" وأما ابن حِلِّزة اليَشْكَريُّ ، فسَهْلُ الحُزُونِ قام خطيباً بالموزون ، والعادة أن يسهل شرح الشعر بالنثر ، وهذا أسهلَ السهلَ ، وذلك مثل قوله :

أبْرَموا أمرَهم عِشاءً فلمّا أصبحوا أصبحتْ لهم ضَوْضاء

هالِ خَيْلٍ خلالَ ذاك رُغاء مِن مُنادٍ ومن مُجيبٍ ومن تَصْ

فلو اجتمع كلُّ خطيب ناثر، من أول وآخر؛ يصفون سفراً نهضوا بالأسحار، وعسكراً تنادى بالنهوض إلى طلب الثار: ما زادوا على هذا إن لم ينقصوا منه، ولم يقصروا عنه. وسائر قصيدته في هذا السلك شكاية وطلاب نصفة، وعتاب في عزة وأنفة "(٣) . وقد جمعت معلقته طائفة من أيام العرب وأخبارها، ووَعَت ضروبًا من المفاخر يقام لها ويقعد. وقد ارتجلها بين يدي عمرو بن هند الملك (٤)

٧-عن عمرو بن كلثوم التغلبي ، يقول ابن شرف :"أما ابن كلثوم فصاحب واحدة بلا زائدة ، انطقه بها عز الظفر ، وهزه فيها جن الأشر ، فقعقعت رعوده في أرجائها ، وجعجعت دحاه في إثنائها ، وجعلتها تغلب قبلتها التي تصلي إليها وملَّتها

---

١ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص١٧.

٢ – السابق ص١٧.

٣ – السابق ص١٧.

٤ – الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني: شرح المعلقات السبع للزوزني ، لجنة التحقيق في الدار العالمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م ، ص ١٤٦ وما بعدها .

التي تعتمد عليها ، فلم يتركوا إعادتها ، ولا تخلَّفوا عن عبادتها ،إلا بعد قول القائل"(١): ألهَى بني تَغْلِبَ عن كل مَكرُمةٍ قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثوم ، على أنها من القصائد المحققات ، وإحدى المعلقات "(٢)

وهذه الخلاصة النقدية في التعريف بعمرو بن كلثوم التغلبي ، وبمعلقته وأثرها في قومه من بعده ، وما صاحبها من قصة قتل الشاعر لعمرو بن هند الملك ، هذه الخلاصة على إيجازها تضع أمام القارئ صورة جلية لكل هذه الأمور ، ولا يخفى على القارئ ما في أسلوب ابن شرف من قيم تعبيرية وتصويرية ، تخلب الألباب ، وتجذب إليها العواطف ففي قوله :" واحدة بلا زائدة " يرفع من شأن القصيدة ، أو يضعها في موضعها من الرفعة والجلال ، فهي واحدة في بابها ، وبعد ذلك يرى القارئ هذه الصور البديعة ، عز الظفر هو الذي أنطق الشاعر ، والأشرُجنُّ هز في الشاعر أحاسيس النشوة، ورعود الشاعر التي قعقعت ورحاه التي جعجعت ، والقصيدة بعد ذلك قبلة التغلبيين ودينهم ، كل هذه الصور معبرة تعبيرًا صادقًا كل الصدق عن واقع تلك القصيدة الثائرة الرائعة .

٨-ويأتي في المرتبة الثامنة عند ابن شرف ، قاضي عكاظ ، النابغة الذبياني ، واسمه زياد بن معاوية ، يقول عنه :" وأما النابغة زياد فأشعاره المحققات الجياد ، لم تخرج عن نار جوانحه حتى تناهى نضجها ، ولا قُطِعَتْ من منوال خاطره حتى تكاثف نسجها ، لم تهلهلها ميعة الشباب ، ولا وهاء الأسباب ، ولا لوم الاكتساب ، فشعره وسائط سلوك ، وتيجان ملوك "(٣) . وقد أصاب وأجاد ؛للأسباب الآتية :

(أ)كان النابغة ناقداً يحكم بين الشعر ، فلم يكن ليقول من الشعر إلا المحقق الذي تناهى نضجه ، واكتمل نسجه.

(ب)لم يقل الشعر إلا كبيراً ، فلم يهلهل شعره ميعة شباب ، ولم يكن هناك من الأسباب ما يضعفه .

(ج)وشعره درٌ ، وتيجان ملوك.

---

١ - إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص١٧-١٨.

٢ - السابق ص١٨.

٣ - السابق ص١٨.

ولكنه كان يتكسب بشعره ، فغض ذلك من قدره ، وقد كان شريفاً في قومه يقول ابن قتيبة " كان شريفاً فغض منه الشعر "(١)

٩-النابغة الجعدي ، هو" عبد الله بن قيس، من جعدة بن كعب بن ربيعة، وإخوة جعدة عقيلٌ وقشيرٌ والحريش، وكان يكنى أبا ليلى، وهو جاهليٌ(٢) ، ويبدو أن ذكره عند ابن شرف جاء متقدما لمناسبة ذكر النابغة الذبياني . يقول فيه ابن شرف:" وأما أبو ليلى النابغة الجعدي، فنقي الكلام، شاعر الجاهلية والإسلام؛ واستحسن شعره أفصح الناطقين، ودعا له أصدق الصادقين؛ وكان شاعراً في الافتخار والثناء، قصير الباع لشرفه عن تناول الهجاء؛ وكان مغلوباً به في الجاهلية، وطريد ليلى الأخيلية "(٣) . ثم يقول ابن قتيبة" وكان العلماء يقولون في شعره: خمارٌ بواف ومطرفٌ بآلاف يريدون أن في شعره تفاوتاً، فبعضه جد مبرزٍ، وبعضه ردي ساقطٌ" (٤).

ويشير ابن قتيبة إلى إعجاب النبي – صلى الله عليه وسلم – ببعض أشعاره بقوله :" وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشده:

ويَتْلُو كتاباً كالمَجَرَّةِ نَيِّرَا أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ إِذْ جاءَ بالهُدَى

وإِنَّا لنَرْجُو فَوْقَ ذلك مَظْهَرا بَلَغَنا السَّماءَ مَجْدَنا وجُدُودُنا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إلى أين أبا ليلى " ؟ فقال: إلى الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن شاء الله " وأنشده:

بَوَادِرُ تَحْمِى صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرا ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إِذَا لم تَكُنْ له

حَلِيمٌ إِذَا ما أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرا ولا خَيْرَ في جَهْلٍ إِذَا لم يكن له

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يفضض الله فاك " : قال: فبقي عمره لم تنقض له سنٌ" (٥) ، وعبارات ابن قتيبة في شعر النابغة في غاية الدقة ، فما أنشده من شعره بين يدي النبي– صلى الله عليه وسلم – كان في المديح والافتخار ،

---

١ – الشعر والشعراء ١٦٤/١.

٢ – السابق ٢٨٩/١.

٣ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص١٨.

٤ – الشعر والشعراء ٢٩١/١.

٥ – السابق ج/٢٨٩.

وحاوره النبي ،فأحسن الجواب (١) ، وأما ضعفه في الهجاء فيدل عليه أن الأخطل غلبه ، وكذلك ليلى الأخيلية (٢) وغيرهما .

١٠- الأعشى ، وهو لقب لجماعة من الشعراء أشهرهم وأشعرهم ميمون بن قيس الذي يقول فيه ابن شرف :" شاعر المدح والهجاء ، واليأس والرجاء والتصرف في الفنون ، والسعي في السهول والحزون ، نفقَ مدحه بنات المحلَّق وكان في فقر ابن المذلق"(٣) في عبارات دقيقة موجزة وضح ابن شرف مكانة الأعشى ميمون قيس وما امتاز به فهو في صدارة من حمل اللقب عينه ؛إضافة إلى هذا فهو شاعر المدح والهجاء ... .

١١- الأسود بن يعفر ، ويرى فيه ابن شرف :" أشعر الناس إذا ندب دولة زالتْ ، أو بكى حالة حالتْ أو وصف رَبْعاً خلا بعد عمران ، أو داراً درست بعد سكان"(٤)

ويبدو أنه لا يجيد غير ذلك ، وقد أورد صاحب الشعر والشعراء عند ترجمته له أبياتاً في المجال المذكور لا غير(٥) .

١٢-حسان بن ثابت الأنصاري ، يقول فيه ابن شرف :" فقد اجتثت بواكره غسان ، ثم جاء الإسلام ، وانكشف الإظلام فحامى عن الدين وناضل عن خاتم النبيين ، فشعر وزاد وحسَّن وأجاد إلا أن الفضل في ذلك لتأييد رب العالمين "(٦)

التعبير بـ(اجتثت بواكره غسان) تعبير بليغ ؛ لأنه أراد أن يبرز مدى فوز غسان بباكورة الشعر لدى حسان بن ثابت ، إلى أن وصل هذا الفوز إلى مداه ، حتى كاد يقتلع هذه الباكورة من جذورها ، وينهل منها بما يجعلها تنضب ، إلى أن جاء الإسلام ، فأعاد إليها نضارتها ، وجدد ماءها، فجعله سائغا للشاربين ، وهو ما يفهم من قوله (إلا

---

١ – الشعر والشعراء ٢٨٩/١.

٢ –السابق ٢٩٠/١.

٣ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص١٨.

٤ – السابق ص١٨.

٥ –الشعر والشعراء ج٢٥٥/١.

٦ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص١٨-١٩

أن الفضل في ذلك لتأييد رب العالمين) . فالتعبير فيه من البلاغة ما فيه ؛ لأنه يظهر مكانة حسان في الحقبتين : الجاهلية والإسلام .

١٣–"أما دريد بن الصِّمة ، فصِمَّة صمم ، وشاعر جُشَم ، وغزلي هرم ، وأول من تغزّل في رثاء ، وهزل في حزن وبكاء ، فقال في معبد أخيه قصيدته المشهورة يرثيه:

أَرَثّ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدِ بِعَاقِبَةٍ وَأَخْلَفَتْ كُلّ مَوْعِدِ

هي من أشرف قصائد الرثاء "(١)، يكشف ابن شرف في هذه العبارات الدقيقة الموجزة ما امتاز به شعر دريد بن الصِّمة فهو أول من جمع بين النقيضين في قصيدة واحدة فجمع بين الغزل والرثاء والهزل والحزن.

١٤–الراعي النميري ، هو" حصين بن معاوية، من بني نميرٍ، وكان يقال لأبيه في الجاهلية معاوية الرئيس، وكان سيداً، وإنما قيل له الراعي لأنه كان يصف راعي الإبل في شعره، وولده وأهل بيته بالبادية سادةٌ أشرافٌ، ويقال هو عبيد بن حصينٍ، ويكنى أبا جندلٍ "(٢) وفيه ، يقول ابن شرف :" وأما الراعي عُبَيدُ فقد جُبل على وصفه في الإبل وشغله هواها عن الشعر في سواها ،سوى التعليل بالنزر القليل ، فصار يراعي الأبل يعرف ، ونسي ماله من الشرف "(٣)، يعني اشتغل بوصف الأبل والرعي حتى اشتهر به .

١٥–زيد الخيل بن مهلهل ،" من طيىءٍ، جاهلي وأدرك الإسلام ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد طيىءٍ وأسلم وسماه (زيدَ الخيرِ)"(٤) ، ويقول فيه ابن شرف القيرواني :" وأما زيد الخيل فخطيب سَجَّاعةٌ ، وفارس شجاعة ، مشغول بذلك عما سواه من المسالك "(٥) اشتغل بأمور شغلته عما سواها ، ومن ذلك شعره .

١٦– وأما عامر بن الطفيل" فشاعرهم في الفخار ، و في حماية الجار أوصفهم لكريمة ، وأنعتهم لحميد شيمة "(٦) . وكما نرى ، فقد وصفه ابن شرف بما في شعره من

---

١ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد ص ١٩.

٢ – الشعر والشعراء ٤١٥/١.

٣ – السابق ٢٨٦/١.

٤ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص١٩.

٥ –السابق ص٦٦.

٦ –السابق ص٦٦.

فخر، وأنفة ، مدحه للصفات المحمودة ، وفي قوله:" أوصفهم لكريمة " يريد العزة والأنفة ، والكريمة الأنف ، وكل جارحة شريفة – كما في لسان العرب" ولَهُ عليَّ كَرَامَةٌ أَي عَزازة. واستَكْرَمَ الشيءَ: طلَبه كَرِيماً أَو وَجَدَهُ كَذَلِكَ. ولَا أَفْعلُ ذَلِكَ ولَا حُبّاً ولَا كُرْماً ولَا كُرْمَةً ولَا كَرَامَةً كُلُّ ذَلِكَ لَا تُظهر لَهُ فِعْلًا".(١)

وعامر بن الطفيل العامري هذا أحد اثنين دعا عليهما النبي – صلى الله عليه وسلم – أما هذا فأصابته الغدة ، فمات بها ، ولم يرجع إلى أهله . جاء في الأغاني : "دعا رسول الله وقال يا قوم إذا دعوت فأمنوا فقال اللهم اهد بني عامر واشغل عني عامر بن الطفيل بما شئت وكيف شئت وأنى شئت فخرج فأخذته غدة مثل غدة البكر فجعل يثب وينزو في السماء ويقول يا موت أبرز لي ويقول غدة مثل غدة البكر وموت في بيت سلولية ومات" (٢) . وأما الآخر فهو أربد بن قيس ، وقد أصابته بدعوة النبي– صلى الله عليه وسلم – صاعقة فأحرقته ، فقال لبيد بن ربيعة في ذلك شعرا، ومنه قوله: "

يا عَينُ هَلاَّ بَكَيْتِ أَرْبَدَ إذْ ... قُمْنا وقامَ الخُصُومُ في كَبَدِ

وعَينِ هَلاَّ بَكَيْتِ أَرْبَدَ إذْ ... أَلْوَتْ رِياحُ الشّتاء بالعَضَدِ

فأَصْبَحَتْ لاقِحاً مُصَرَّمَةً ... حينَ تَقَضَّتْ غَوابِرُ المُدَدِ (٣)

لأن أربد " كان... أخا لبيد بن ربيعة لأمه "(٤)

١٧– " وأما ابن مقبل فقديم شعره ، وصليب نجره ، ومغلي مدحه ، ومعلي قدحه "(٥) فأوجز ابن شرف العبارة في الحكم على ابن مقبل وما يتميز به شعره، وابن مقبل ، "هو تميم بن أبي بن مقبلٍ، من بني العجلان... ، وهو من أوصف العرب لقدحٍ، ولذلك يقال: قدح ابن مقبل. "(٦)

---

١ – لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ ، ٥١٢/١٢.

٢ – أبو الفرج الأصفهاني :الأغاني ، ، دار الفكر – بيروت ، ط٢ ،ت : سمير جابر، ١٧ /٦٦.

٣ – لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر :ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، اعتنى به: حمدو طمّاس ،دار المعرفة ، ط١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م ، ٣٤/١.

٤ –الأغاني ٦٣/١٧.

٥ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص١٩

٦ – الشعر والشعراء ج٤٥٥/١.

١٨–وأما الحطيئة جرول "فخبيث هجاؤه ، شريف ثناؤه ، صحيح بناؤه ، رفع شعره من الثرى ، وحط من الثريّا ، وأعاد بلطافة فكره ، ومتانة شعره قبيح الألقاب فخراً يبقى على الأحقاب" (١) لم يزد – هنا– على وصف عام لشعر الحطيئة ، وسيرته في الناس من الهجاء والمدح وما لها من أثر.

١٩–وأما أبو ذؤيب(٢)" فشديد أسر الشعر ، حكيمه ، شغله فيه التجريب حديثه و قديمه ، وله المرثية النقية السبك ، المتينة الحبك ، بكى فيها بنيه السبعة فقال ، ووصف الحمام فأطال "(٣) فهو قد امتاز بشعره الآسر الذي يقوم على الحكمة ، ومن أهم ما خلَّف مرثيته التي اتسمت بقوة السبك والحبك وفيها يبكي بنيه السبعة .

٢٠–" وأما النصراني الأخطل ، فسعد من سعود بني مروان ، صفت لهم مرآة فكره ، وظفروا بالبديع من شعره ، وكان باقعة من حاجاه ، وصاعقة من هجاه" (٤)

والأخطل هو" غياث بن غوثٍ، من بني تغلب، من فدوكسٍ، ويكنى أبا مالكٍ... وكان الأخطل يشبه من شعراء الجاهليةٍ بالنابغة الذبياني. "(٥) . ولا يذكر اسمه إلا ذكر جرير والفرزدق ، ولذا ذكرهما ابن شرف بعده ، وكذلك فعل ابن قتيبة في الشعر والشعراء ، فترجم لجرير ، ثم الفرزدق ، فالأخطل.

موازنة بين جرير والفرزدق

يروي ابن شرف –هنا– رواية على لسان أبي الريان ، إذ يقول :"حدثنا الصولي عن الغوث بن البحتري الشاعر ، سألني أبي يوما من أفضل عندك جرير أم الفرزدق ؟ قال : فقلت في نفسي : سلك جرير بسلك أبي أشبه ، فقلت له أفضل جرير فقال ما صنع ميزك شيئا قلت ولم ؟ أليس جرير أشبه بطريقتك ؟قال أو في ... أو في الحق عصبية : قلت فيم تفضل الفرزدق ؟ فقال البحتري :" لأني رأيت جريراً لا يهجو بأكثر من خمسة أشياء يكررها ؛ منها : القيون ، وحر أخنه ، والزنا ، ونفي

١ إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص١٩

٢ –محمد بن سلام الجمحي :طبقات فحول الشعراء ،ت : محمود محمد شاكر: دار المدني– جدة ،١٣١/١.

٣ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص١٩.

٤ – السابق ص٢٠.

٥ – الشعر والشعراء ٤٨٣/١.

عمر بن عبدالعزيز له من المسجد ، وضربه الرومي"(١)، ورأيت الفرزدق لا يخلو في كل قصيدة له من أن يرميه بسهام شتى غير مكررة ، ولا معادة وفي هذا من الفضل ما لا يخفى "(٢).

:" قال أبو الريان : قلت للصولي : ولو حضرت في هذا المجلس لوفقت له البحتري على ما جهله ، ونبهته على ما أغفله ، وذلك أن كليب بن يربوع ؛ وهي قبيلة جرير ، لا توازي في الشرف دارماً ؛ وهي قبيلة الفرزدق ،ولا عطية لغالب فناضله جرير مناضلة المساواة ثلاثين عاما ، وإذا تناصف في المكافحة قرنان ، سيف أحدهما حسام ، وسيف الآخر كهام ، فصاحب الكهام أصدق مصاعا ، وأطول باعاً ، قال : وأنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ، ولم يغلبك مثل مُغَلَّبٍ ، وقد حكى أبو عمرو بن العلاء ، قال : كنت عند جرير أقرأ عليه من شعره حتى قام على رجليه وتلقى رجلا بكلتا يديه ونظرت إلى الرجل فرأيت أسود دميماً كأنه جعل يسوق أعناقا فعجبت من انحطاط جرير لمثله فقلت يا أبا حرزة من هذا الذي أجللته هذا الإجلال فتبسم وقال هذا عطية بن عوف الخطفي وإن امرأً ناضل لهذا بني دارم كذا وكذا سنة فما فضلوه لشاعر "(٣) . وعلى أية حال فرأي ابن شرف هو الصواب.

منهج جديد في عرض جماعة من الشعر :

ثم ذكر ابن شرف على لسان راويته أبي الريان جماعة من الشعراء ممن غلب الغزل على أشعارهم ، واشتهر بعضهم بأسماء معشوقاتهم كقيس ليلى ، وقيس لبنى ، وجميل بثينة ، وعدتهم ثمانية ، وفيهم يقول :" أما القيسان، وجميل وغيلان والطثري ، والدميني ، وحميد الهلالي وسحيم الربحي ، فطبقة عشقة توقةٌ ، قد استحوذت على الصبابة على أفكارهم ، واستغرقت دواعي الحب معاني أشعارهم ، فكلهم مشغول بهواه، لا يتعداه إلى سواه "(٤) ويتابع بعد هؤلاء ذكر وصف الشعراء ، فيقول :

---

١ – السابق ص٢٠–٢١.

٢ السابق ص٢١.

٣ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص٢١.

٤ – السابق ص٢١–٢٢.

٣١- " وأما كثيرٌ فحسن النسيب فصيحه ، لطيف العتاب مليحه شجيٌّ ذكر الاغتراب قريحه ، جامع إلى ذلك رقايق الظرفاء ، وجزالة مدح الخلفاء"(١) ، وهو "أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي"(٢)

فإن قلت : لمَ لمْ يذكره مع ثمانية العشاق ، فهو منهم؟ قلت: نعم هو منهم ، ومشهور بصاحبته (عزة) ، ولكن في شعره رقة الظرفاء وجزالة وقوة مادحي الخلفاء .

٣٢:٣٥- عاد ابن شرف ليذكر أربعة من الشعراء معاً ، فيقول فيهم :" وأما الرماح، والكميت، والطرماح ، ونُصيب ، فشعراء معاصرة ومناقضة ومفاخرة ، فأما نصيبٌ فأمدح القوم ، والطرماح أهجاهم ، فالرماح أنسبهم نسيباً ، والكميت أشبههم تشبيباً"(٣)

هؤلاء الأربعة من شعراء المديح والهجاء الوقتي ، فابن ميادة مع من يعطي الجزيل ، وأما الكميت فهاشمي الهوى ، وأما الطرماح فخطيب الخوارج وشاعرهم ، وأما نصيب فمولى المروانيين المخلص الوفي ، وكان في مدحه بني مروان ينافس الفرزدق .

٣٦ – بشار بن برد ،" أول المولدين ، وآخر المخضرمين ، وممن لحق الدولتين : الأموية والعباسية ، عاشق سَمع ، وشاعر جمع ،و شعره ينفق عند ربات الحجال ، وعند فحول الرجال ، فهو يلين حتى يستعطف ، ويقوى حتى يستكثف ، وقد طال عمره ، وكثر شعره ، وطما بحره ، وبقي في البلاد ذكره "(٤) يجمل ابن شرف في دقة ما امتاز به بشار وكان سر بقاء ذكره ، فهو عاشق سَمع ، وشاعر جمع وكثر شعره وجمع بين النقيضين فهو يلين حتى يستعطف ، ويقوى حتى يستكثف.

١ – السابق ص٢٢.

٢ – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج١٠٦/٤.

٣ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص٢٢.

٤ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص٢٢.

نقده لأبي نواس:

وقد كان لابن شرف في أبي نواس حكم جديد فأبان أنه "أول الناس في خرم القياس، وذلك أنه ترك السيرة الأولى ونكب عن الطريقة المثلى وجعل الجد هزلا والصعب سهلا"(١) وتعليل ذلك عنده" أسباب العربية قد تخلخلت وانحلت ، و الفصاحات قد سئمت و أملت "(٢) أي: أن أبا نواس ظهر وقد انحلت أسباب العربية وملت الفصاحة، فنزل بالشعر إلى مستوى الإفهام في عصره فرغب الناس في شعره " وشغفوا بأسخفه وكلفوا بأضعفه وكان ساعده أقوى ..."(٣)وهو قادر على الشعر القوي، ولكنه عني بما يتفق في سوق الجماهير يومئذ " فشعر أبي نواس نافق عند هذه الأجناس، كاسد عند أنقد الناس " ، وقد فطن أبو نواس نفسه إلى ذلك فحاول أن يستدرك ما فاته بالطرديات؛ فهو" فطن إلى استضعافه ، وخاف من استخفافه ، فاستدرك بفصيح طرده "(٤) . وهذا" حكم جديد على أبي نواس، يخالف ما عهدناه من آراء النقاد، ولا أحد ينكر أن في شعر أبي نواس شيئا كثيرا من السخف والمجون واعتماد الأسلوب السهل الذي يبلغ في سهولته حد الركاكة أحيانا، ولكن شتان بين ما يقوله ابن شرف وبين قول القاضي الجرجاني بأن في شعره تفاوتا؛ ذلك أن ابن شرف ينكر – من طرف خفي – أكثر شعره، سوى الطرديات، ويراه مسئولًا عن النزول بالشعر إلى مستوى العامة"(٥).

ويستمر أسلوب المقامة هو المرتكز الأساس الذي اعتمده ابن شرف في تقديمه خلاصة نقده للشعراء مدحاً أو ذماً وما يميزه هو وقوفه عند كشاجم ،و الصنوبري والخبزأرزي في سياق يضم البحتري وابن المعتز وابن الرومي وأبا فراس الحمداني وأبا الطيب المتنبي ، وهذا يدل على حسه النقدي الذي ارتفع بهولاء إلى منزلة هؤلاء ، وألمح إلى التهمة التي رددها ابن وكيع حين زعم أن المتنبي سرق معاني الخبزأرزي:

---

١ –السابق ص٢٢.

٢ – السابق ص٢٢.

٣ – السابق ص٢٢ .

٤ – السابق ص٢٣.

٥ – إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،ط٤، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ١ / ٤٦٢.

"حتى أن بعض كبراء الشعراء اهتدم شيئًا من مبانيه، واهتضم طرفا من معانيه، وهو من معاصريه، فقل من فطن لمراميه "(١)

وفي هذا يقول الأستاذ إحسان عباس" كما يتميز بالوقوف عند الصنوبري والخبزأرزي في سياق يضم أبا تمام والبحتري وابن الرومي والمتنبي، بل ألمح إلى التهمة التي رددها ابن وكيع حين زعم أن المتنبي سرق معاني الخبزأرزي: " حتى أن بعض كبراء الشعراء اهتدم شيئا من مبانيه، واهتضم طرفا من معانيه، وهو من معاصريه، فقل من فطن لمراميه "(٢).

الاهتمام بشعراء المغرب والأندلس:

تستمر أحاديث ابن شرف عن شعراء المغرب والأندلس على لسان أبي الريان ويتميز هذا القسم " بظهور شعراء المغرب فيه إلى جانب المشارقة، حين تحدث ابن شرف عن ابن عبد ربه وابن هانئ وابن دراج القسطلي وأبو علي التونسي"(٣).

ويلحظ في حكمه النقدي على ابن هانئ الأندلسي اعتماده الأساس الديني في أحكامه النقدية إذ يقول :" من رجل يستعين على صلاح دنياه بفساد أخراه، لرداءة عقله ورقة دينه وضعف يقينه. ولو عقل لم تضق عليه معاني الشعر حتى يستعين عليها بالكُفر"(٤)

القضية الثانية : بيان سقطات عدد من الشعراء وبعض العيوب في الشعر:

يبدأ ابن شرف حواره مع أبي الريان في مجلس عقب هذا المجلس الذي تناول فيه الشعراء في المشرق والمغرب بقوله له :" أكثر الله مثلك في الإخوان ووقاك محذور الزمان ومرور الحدثان فلقد سبكت فهماً وحُشيتَ علمًا...لقد رأيت لك نقداً مصيباً ، ومرْمَى عجيباً ، ولقد أرغب في أن أنال منه نصيباً... أنا شديد الرغبة في أن تسهمني من ميزك وعقلك ، ما استهدى بسراجه على مستقيم منهاجه ، فأقف من سرائره على بعض ما وقفت "(٥) وهو في هذا يدل على رضا ابن شرف عما انتهى

١ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص٢٥.

٢ – تاريخ النقد الأدبي عند العرب ٤٦٢/١.

٣ – السابق ١ / ٤٦٢.

٤ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص٢٦.

٥ –السابق ص٢٧.

إليه من أحكام نقدية على الشعراء ، وأنه أراد أن يضع قواعد للأحكام النقدية تكون أساسًا يعتمد عليه النقاد في إصدار أحكامهم .

قواعد عامة للنقد السليم :

التأني في إصدار الأحكام النقدية ؛ لأن العجلة تؤدي إلى الخطأ، يجب على الناقد.

وفي هذا قال أبو الريان :"أول ما عليه يعتمد ، وإياه تعتقد ،ألا تستعجل باستحسان ، و لا باستقباح ...حتى تنعم النظر ، وتستخدم الفكر ، واعلم أن العجلة في كل شيء مركب زلوق ، وموطئ زهوق و إن من الشعر ما يملأ لفظه المسامع ، ويرد على المسامع منه قعاقع ، فلا ترعك شماخة مبناه ، وانظر إلى ما في سكناه من معناه "(١) وهو هنا ينهاه عن التأثر باللفظ الشامخ و إنما العبرة فيما يحمله من معان" فإن كان في البيت ساكن فتلك المحاسن "(٢) وقضية اللفظ والمعنى من قضايا النقد العربي وأوسعوها تحليلاً وتقنينا من قبل النقاد، منذ الجاحظ حتى عبد القاهر الجرجاني، مروراً بابن قتيبة وابن طبابا العلوي وقدامة بن جعفر وابن المعتز و الآمدي والجرجاني وسواه، وكذلك رأى ابن شرف أنه على الناقد ألا يحمله إجلاله القديم على استحسانه من غير أن يميز بين جيده و رديئه، أو أن يحمله إصغاره المعاصر على التهاون بما أُنشد له وفي هذا يقول :" وتحفظ من شيئين أحدهما أن يحملك إجلال القديم المذكور ،على العجلة باستحسان ما تسمع له ، والثاني أن يحملك إصغارك المعاصر المشهور على التهاون بما أُنشدتَ له، فإن ذلك جورٌ في الأحكام"(٣) وهو في هذا المعيار النقدي يحتكم إلى أساس ديني ذكر في القرآن الكريم يشير إلى تعلق القلوب بالقديم ، في قوله :" وقد وصف تعالى في كتابه الصادق تشبث القلوب بسيرة القدماء ونفارها عن المحدث الجديد ، مقال حاكياً لقولهم :" إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ"(٤).فالأصل في هذا كله هو اتباع الحق قديماً كان أو حديثًا.

---

١ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص٢٧.

٢ – السابق ص٢٧.

٣ – السابق ص٢٨.

٤ – السابق ص٢٨.

وابن شرف مسبوق في ذلك فقد أشار ابن قتيبة :" ولم أسلك، فيما ذكرته من شعر كلّ شاعر مختارا له، سبيل من قلّد، أو استحسن باستحسان غيره. ولا نظرت إلى المتقدّم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخّر (منهم) بعين الاحتقار لتأخّره بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلا حظّه، ووفّرت عليه حقّه"(١) ولعل ما دفع ابن قتيبة وابن شرف على اختيار هذا المنهج ما وجداه من مسلك بعض العلماء في استجادة الشعر السخيف ؛ لتقدم قائله ، وهذا مسلك فيه نظر ؛لأن الله لم يقصر العلم والشعر على زمن دون زمن ، ولا خص بهما قومًا دون قوم ،بل جعل ذلك مشتركًا مقسومًا بين عباده في كل زمن ، وجعل كل قديم حديثًا في عصره ، وقد كان جرير والفرزدق والأخطل يعدون محدثين ، ثم صاروا قدما عندما بعد العهد منهم ، وكذلك يكون الأمر مع من بعدهم كالخريمي ، والعتابي ، والحسن بن هانئ وأشباههم ، ومن هنا نجدهما يلتزمان منهجًا قائمًا على أن من أتى بحسن من قول أو فعل ذكره لك وأثنى به عليه ، ولم يضعه عنده تأخر قائله ،أو فاعله ولا حداثة سنه ، كما أن الرديء إذا ورد للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عنده شرف صاحبه ولا تقدمه (٢).

والسؤال هل التزم ابن شرف بما قدم من قواعد للنقد السليم في تطبيقه ؟ وللإجابة عن هذا السؤال نقف أمام نقده لامرئ القيس.

نقد ابن شرف سقوط امرئ القيس :

اختيار ابن شرف لامرئ القيس لتقدمه ونقده يحمل دلالتين أما الأولى فهي تشير إلى امتلاكه الأداة النقدية أما الأخرى فهي التزامه بما أقره من مبدأ أن العبرة في جودة الشعر ليست بالقدم وإنما بما أُنشد قديماً كان أو حديثاً.

يورد ابن شرف قول امرئ القيس :

فَقَالَتْ: لَكَ الـوَيْلَاتُ!،إنّكَ مُرْجِلِي ويَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خدْرَ عُنَيْزَةَ

ويقول في نقده له: " فما كان أغناه عن الإقرار بهذا، وما أشد غفلته عما أدركه من الوصمة به، وذلك أن فيه أعدادا كثيرة من النقص والنجس: منها دخوله متطفلًا على من كره دخوله عليه، ومنها قول عنيزة له: لك الويلات، وهي قولة لا تقال إلا لخسيس ولا يقابل بها رئيس فإن احتج محتج بأنها كانت أرأس منه ، قيل له : لم

---

١ – الشعر والشعراء ٦٤/١.

٢ –الشعر والشعراء ٦٨/١ بتصرف .

يكن ذلك لأن الرئيسة لا تركب بعيراً بدرج ،أو يموت إذا ازداد عليه ركوب راكب ساعة ، بل هذا بعير فقيرة حقيرة ، وإن احتج له بأنه صبر على الهوان من أجل أنها معشوقة ، قيل له كيف يكون عاشقاً من يقول لها :

فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعِ

وإنما المعروف للعاشق الانفراد بمعشوقه واطراح سواها، كالقيسين في ليلى ولبنى، وغيلان بمية، وجميل بثينة، وسواهم كثير. فلم يكن لها عاشقاً، بل كان فاسقاً. ثم أهجن هجنة عليه، وأسخن سخنة لعينيه، إقراره بإتيان الحبلى والمرضع؛ فأما الحبلى فقد جبل الله النفوس على الزهد في إتيانها، والإعراض عن شأنها؛ منها أن الحبل علّة وأشبه العلل بالاستسقاء، ومع الحبل كمود اللون، وسوء الغذاء، وفساد النكهة، وسوء الخلق، وغير ذلك. ولا يميل إلى هذا إلا من له نفس سوقي، دع نفس ملوكي. وأعجب من هذا أن البهائم كلها لا تنظر إلى ذوات الحمل من أجناسها، ولا تقرب منها حتى تضع أحمالها، أو تفارق فصلانها. ثم لم يكفه أن يذكر الحبلى حتى افتخر بالمرضع، وفيها من التلويث بأوضار رضيعها، ومن اهتزالها واشتغالها عن أحكام اغتسالها. وقد أخبر أن ذا التمائم المحول متعلقٌ بها بقوله :

فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ

وأخبر أنها ظئر ولدها، لا ظئر له ولا مرضع سواها، فدل بذلك على أنها حقيرة فقيرة، ومثل هذه لا يصبو إليها من له همة. وهذه الصفات كلها تستقذرها نفس الصعلوك والمملوك فكيف أنفس الملوك "(١)

يتضح من نقد ابن شرف لامرئ القيس أنه قائم على أمرين أما الأول فهو لم يحمله إجلاله القديم على استحسانه من غير أن يميز بين جيده و رديئه ، إذ إن امرئ القيس أقدم الشعراء عصراً لكن هذا لم يكن مسوغاً يحول دون نقده ، أما الأمر الآخر فهو أنه فإنه اعتمد موقفاً أخلاقياً وفصّله في نقده لامرئ القيس "ويذكرنا نقد ابن شرف لشعر امرئ القيس بموقف الباقلاني منه، فهو يعتمد على النظرة الأخلاقية قبل كل شيء"(٢) فقول عنيزة له: لك الويلات، وهي قولة لا تقال إلا لخسيس ،إضافة إلى هذا فإن ابن شرف يرى أن امرأ القيس لم يكن لها عاشقاً، بل كان فاسقاً. ثم أهجن هجنة

١ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص٢٩-٣٠.

٢ – تاريخ النقد الأدبي عند العرب ٤٦٤/١.

عليه، وأسخن سخنةٍ لعينيه، إقراره بإتيان الحبلى والمرضع؛ فأما الحبلى فقد جبل الله النفوس على الزهد في إتيانها و افتخر بالمرضع، وفيها من التلويث بأوضار رضيعها، ومن اهتزالها واشتغالها عن أحكام اغتسالها.

وقد قال" أيضاً في موضع آخر من هذا الباب من قصيدة أخرى:

سموتُ إليها بعد ما نام أهلُها سُمُوّ حَباب الماءِ حالاً على حال

فقالتْ لَحَاك اللهُ إنّك فاضِحي ألستَ تَرَى السُّمارَ والناسَ أحوالي

حَلَفْتُ لها باللهِ حِلْفةَ فاجرٍ لَنامُوا فما إن من حديث ولا صالي

فأخبر هاهنا أنه هين القدر عند النساء وعند نفسه برضاه قولها :لحاك الله فحصل على :لك الويلات من تلك ، وعلى لحاك الله من هذه فشهد على نفسه أنه مكروه ومطرود، غير مرغوب في مواصلته، ولا محروص على معاشرته، ولا مرضي بمشاكلته. ثم أخبر عن نفسه أنه رضي بالحنث والفجور، وهذه أخلاق لا خلاق لها"(١).

ويرى ابن شرف أن الشعر وسيلة للتعبير عن شخصية صاحبه وهذا ما أخذه على امرئ القيس فشعره لم يرفعه إلى مكان الملك وإنما حط من قدره وهذا ما ذهب إليه إحسان عباس بقوله:" تشبثه بأن الشعر الصحيح لابد أن يعبر عن نفسية صاحبه، وما دام صاحب هذا الشعر ملكا فلابد أن تكون للملك نفسية ترفعه عن مثل هذه الأقوال، والشق الأول من هذا الفرض صحيح"(٢) إلا أن الأستاذ إحسان عباس يرى أنّ اعتماد ابن شرف الجانب الأخلاقي في نقده لامرئ القيس :" يدل على جهل بأحوال النفوس"(٣) لكن الباحث يري أن النظرة الأخلاقية في النقد لها ما يسوغها في حكم ابن شرف على امرئ القيس وهذا ما أيده الأستاذ إحسان عباس .

وتظل النظرة الأخلاقية هي الأساس الذي اعتمده ابن شرف في نقده للشعراء نحو الفرزدق وسحيم عبد بني الحسحاس ، وقد استشهد بما يدل على كذب الفرزدق نحو قوله : "

كما انقضَّ بازٍ أقتمُ الريش كاسرُه هما دلَّياني من ثمانين قامةً

---

١ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص٣٠.

٢ – تاريخ النقد الأدبي عند العرب ٤٦٥/١.

٣ –السابق ٤٦٥/١.

فهذا أول كذبة، ولو قال: من ثلاثين قامة لكان كاذباً، لتقاصر الأرشية عن ذلك"(١).

إضافة إلى هذا فقد اشتهر الفرزدق بأن كان " مغرماً بالزنا مدعياً فيه"(٢) ، أما سحيم عبد بني الحسحاس فهو :" أسود في شملة، دنسة قملة؛ لا يواكله الغرثان، ولا يصاليه الصرد العريان وهو مع ذلك يقول:

نواهدَ لا يَعْرِفن خلقاً سوائياً وأقبلن مِنْ أقصى البُيوت يَعِدْنني

ألا إنما بعضُ العوائد دائياً يَعِدْن مريضاً هنَّ هَيَّجن ما به

عليَّ وتَرْمي رجلَها مِن ورائياً تُوَسِّدني كفّاً وتحنو بمِعْصَم

فأنت تسمع هذا الأسود الشن وادعاءه، وتعلم أن الله لو أخلى الأرض، فلم يُبق رجلاً في الطول ولا في العرض؛ لم يكن هذا الزهمة الزلمة عند أدراك السودان إلا كبعرة بعير، في معرس عير؛ والممنوع من الشيء حريص عليه، مدعٍ فيه"(٣) إذن هو ينتقد الجانب الأخلاقي عند سحيم في ادعائه ؛ لأنه حُرم مما ادعاه وهذا يكشف جانباً من نفسية سحيم ، ويرى الأستاذ إحسان عباس" ولو وقف ابن شرف عند ظاهرة الحرمان أو الإخفاق أساسًا لتعليله التصريح بالفجور، لكان خير من استغل هذا الموقف النفسي في فهم لون من ألوان الأدب أو ظاهرة من ظواهره، ولكنه تخطى ذلك إلى الحكم على النفسيات المختلفة بمقياس واحد، فزعم أن كل النساء لابد أن يكن من بابة واحدة في الطبيعة النفسية، حين خيل إليه أن عبدًا مثل عبد نبي الحسحاس لا يجد امرأة تعشقه أو تتشهاه، مثلما ظن أن الملوك لابد أن يكون لهم مستوى نفسي خاص، وحديث ابن شرف في هذه الناحية يسخر من نفسه، ولا حاجة به إلى مزيد من النقد والتعليق"(٤).

وإيمان ابن شرف القيروان بالجانب الأخلاقي في الحكم على الشعراء فنياً نجده يستشهد بالمركش الأكبر بوصفه نموذجاً إيجابياً للجانب الخلقي الذي ارتفع بصاحبه فالمركش الأكبر :" كان من أجمل الرجال، وكانت للنساء فيه رغبة، وشدة محبة؛ وكان

---

١ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص٣١.

٢ – السابق ص٣١.

٣ –السابق ص٣١.

٤ – تاريخ النقد الأدبي عند العرب ٤٦٦/١.

كثير الاجتماع بهن، والوصول إليهن؛ وله في ذلك أخبارٌ مروية، ولم يكن في أشعاره صفة شيء من ذلك. فحسبك بذلك صحة على ما قلناه"([1]) وتأكيداً لاعتماد ابن شرف الجانب الأخلاقي في حكمه على الشعر لا على خلق صاحبه يقول :" فإن قال قائل: إنما وصفت عن امرئ القيس عيوباً من خلقه لا في شعره، قلنا: هل أراد بما وصف في شعره إلا الفخر؟ فإن قال: لم يرد ذلك وإنما أراد إظهار عيبه. قلنا: فأحمق الناس إذاً هو، ولم يكن كذلك. وإن قال: نعم، الفخر. قلنا: فقد نطق شعره بقدر ما أراد، وترجم عنه قريضه بأقبح الأوصاف. فأي خلل من خلال الشعر أشد من الانعكاس والتناقض. وكل ما يخزي من الشعر فهو أشد عيوبه."([2])

نقد ابن شرف لزهير:

يستمر ابن شرف في حديثه على لسان أبي الريان ليكشف عن منهج اتبعه في نقده مما يدل على نفاذ بصره ، فيورد نموذجاً عُرف بالعلو والرفعة عند غيره من النقاد وهو لزهير ؛ليوضح ما به من عيوب يقول :" قال: زهير بن أبي سلمى على ما وصفناه به ووصفه غيرنا، من العلو والرفعة، في هذه الصنعة، من مذهبته الحكمية، ومعلقته العلمية:

رأيت المَنايا يا خَبط عَشواءَ من تُصِب تُمتْه ومن تُخطئْ يُعمَّر فيهرم

وقد غلط في وصفها بخبط العشواء، على أننا لا نطالبه بحكم ديننا، لأنه لم يكن على شرعنا، بل نطلبه بحكم العقل فنقول: إنما يصح قوله لو كان بعض الناس يموت وبعضهم ينجو، وقد علم هو وعلم العالم، حتى البهائم، إن سهام المنايا لا تخطيء شيئاً من الحيوان حتى يعمها رشقها، فكيف يوصف بخبط العشواء رام لا يقصد غرضا من الحيوان إلا أقصده حتى يستكمل رمياته، في جميع رمياته. وإنما أدخل الوهم على زهير موت قوم عبطة وموت قوم هرماً، وظنوا طول العمر إنما سببه إخطاء المنية، وسبب قصره إصابتها. وهيهات الصواب من ظنه لم يؤخر الهرم إلا أنها ما قصدته فحين قصدته أصابته. ولو أن الرماة تهتدي كاهتدائها، لملأت أيديها بأقصى رجائها"(٣)

---

١ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص٣١.

٢ – السابق ص٣٢.

٣ –السابق ص ٣١–٣٢.

وإن كان الجانب الديني لم يغب هنا في أخذه على زهير وصف المنايا بخبط عشواء ، فإنه أخذه بحكم العقل ؛لأنه لم يكن على شرعنا ، وهذا يدل على نفاذ بصر ابن شرف.

ويرى ابن شرف أن زهيراً خالف جريان العادة وقاس قياساً فاسداً " في مذهبته:

ومَن لا يَذُدْ عن حَوضه بسلاحه يُهَدَّم ومن لا يَظلم الناسَ يُظلَم

وقد تجاوز هذا الحق الباطل، وبني قولاً ينقصه جريان العادة، وشهادة المشاهدة؛ وذلك أن الظلم وعرة مراكبه، مذمومةٌ عواقبه، في جاهليته وإسلامنا. فحرض في شعره عليه، وإن كان إنما أشار إلى أن الظالم يرهب فلا يظلم، فهذا قياس ينفسد ، وأصل ليس يطرد، لكن يرهبه من هو أضعف منه، وربما انتقم منه بالحيلة والمكيدة. وقد يظلم الظالم من يغلبه فيكون ذلك سبب هلاكه مع قباحة السمة بالظلم. والمثل إنما يضرب بما لا ينخرم، وقد كانت له مندوحة واتساع في أن يقول: يهدم، ومن لا يدفع الظلم يظلم" .(١)

وترى ابن شرف يستكنه النفس الإنسانية السامية مما يدل على علو نفسه وسمو ذوقه النقدي حين عاب على زهير أطيب شعره وأملحه عند العامة وكثير من الخاصة : "فهاهنا تحفظ وتأمل، ولا يهلك ذلك منهم، الحق أبلج. قال:

تراه إذا ما جئتَه مُتَهلّلا كأَنك تُعطيه الذي أنت سائلُه

مدح بها شريفاً أي شريف، فجعل سروره بقاصده كسروره بمن يدفع شيئاً من عرض الدنيا إليه. وليس من صفات النفوس العارفة السامية، والهمم الشريفة العالية، إظهار السرور إلى أن تهلل وجوههم وتسر نفوسهم بهبة الواهب، ولا شدة الابتهاج بعطية المعطي، بل ذلك عندهم سقوط همة وصغر نفس. وكثير من ذوي النفوس النفيسة، والأخلاق الرئيسية، لا يظهر السرور متى رزق مالاً عفواً بلا منة مثيل، ولا يد معط مستطيل؛ لأنه عند نفسه أكبر منه، ولأن قدر المال يقصر عنه؛ فكيف يمدح ملك كبير القدر، عظيم الفخر، بأنه يتهلل وجهه ويمتلئ سروراً قلبه، إذا أعطى سائله مالاً؟ هذا نقض البناء، ومحض الهجاء، والفضلاء يفخرون بضدٍّ هذا"(٢).

---

١ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص ٣٤.

٢ – السابق ص٣٤-٣٥.

ويرى الأستاذ إحسان عباس أنه:" ورغم هذا التدقيق الذي يطالعنا به ابن شرف، فإن نقده ينتحي منحى مثاليًا، لم يخرج به عن طبيعة النقد القديم الذي سادت مقاييسه في العصر الإسلامي والأموي وظلت آثاره ملموسة في النقد على مر الزمن"(١).

عيوب عامة في الشعر :

يورد ابن شرف هنا على لسان أبي ريان بعض العيوب العامة في الشعر مستشهداً بما ورد من أشعار العرب وهو في هذا الجانب وإن كان لم يضف كثيرا على ما ذكره النقاد إلا أنه يمثل صورة حية للنقد التطبيقي القائم على النص الشعري وذكر ما به من عيوب ، ومن ذلك :

أولاً اللحن :

قال أبو الريان :"ومن عيوب الشعر اللحن الذي لا تسعه فسحة العربية، كقول جرير:

ولو ولدتْ لعنزة جروَ كَلب لسُبّ بذلك الجرو الكلابَا

فنصب (الكلاب) بغير ناصب. وقد تحيّل أيضاً بعض النحويين بكلام كالضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ، وكقول الفرزدق:

وعَضّ زمانٌ يا ابن مروان لم يَدَعْ من المال إلا مُسحتاً أو مجلفُ

فرفع (مجلفاً) وحقه النصب. وقد تحيل له بعض النحويين على وجهٍ، الإقواء أحسن منه، فاحذر هذا ومثله. وإياك وما يعتذر منه بفسيح من العذر، فكيف بضيق ضنك"(٢).

إن ما أورده ابن شرف من شواهد على اللحن ومخالفة الإعراب يؤكد أهمية امتلاك الشعراء للغة الصحيحة ؛لأنها الأداة التي يعبر بها الشاعر، فإن أصابها زلل وقع الشاعر في اللحن ومخالفة النحو .

ثانياً: خشونة حروف الكلمة:

قال:" ومما يعاب به الشعر، ويستهجنه النقد، خشونة حروف الكلمة، كقول جرير:

وتقولُ بَوزَعُ قد دببتَ على العصا هلاً هزِئْتِ بغيرنا يا بَوْزَعُ

---

١ – تاريخ النقد الأدبي عند العرب ٤٦٨/١.

٢ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص٣٧-٣٨.

وهذا البيت في قصيدة من أحلى قصائد جرير وأملحها، وأجزلها وأفصحها، فثقلت القصيدة كلها بهذه اللفظة.

وللفرزدق أيضاً لفظات خشنة الحروف كهذه تجدها في شعره"(١).

ذهب ابن شرف إلى أن خشونة اللفظ تثقل القصيدة كلها وتعيبها فهو مستهجن في الشعر.

ثالثاً: تعقيد الكلام:

قال:" ويكره النقاد تعقيد الكلام في الشعر وتقديم آخره وتأخير أوله، كقول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلاّ مملّكاً أبو أمه حيّ أبوه يُناسبه

يمدح به إبراهيم بن هشام المخزومي، وهو خال هشام بن عبد الملك. فمعنى هذا الكلام أن إبراهيم بن هشام ما مثله في الناس حي إلا مملك. يعني هشاماً أبا أمه، أي جد هشام لأمه أبو إبراهيم هذا الممدوح، فهو خاله أخو أمه، فهو يشبهه في الناس لا غير، وهذا غاية التعقيد والتنكيد، وليس تحته شيء سوى أنه شريف كابن أخته شريف"(٢).

وهنا يرى ابن شرف أن الإبداع الشعري لا يكون في التعقيد والتنكيد ، وإنما في الوصول إلى الغاية من أقصر الطرق في وضوح وسهولة ، والتعقيد كما نبه علماء المعاني إما أن يكون لفظياً أو معنوياً ، والتعقيد في بيت الفرزدق لفظي وسببه اختلاف نظم الكلام بالتقديم والتأخير بين أجزائه ، فلا يدري السامع كيف يتوصل إلى معناه.

فالمعنى الذي يريده الفرزدق : وما مثله في الناس أحد يشبهه في الفضائل إلا ابن أخته هشام بن عبدالملك ، وينبغي أن يكون ترتيب أجزاء البيت :

وما مثله في الناس حي يقارب إلا مملكا أبو أمه أبوه

فالضمير في "أمه" للملك ، وفي "أبوه" للمدوح وهو إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي ،خال هشام بن عبدالملك بن مروان ، وقد قدم الفرزدق وأخر بين أجزاء البيت ، ففصل بين المبتدأ والخبربأجنبي ، وفص بين النعت ومنعوته كذلك ، وقدم المستثنى على المستثنى منه فصار البيت في غاية التقعيد ، ولعل الفرزدق كان يقصد بهذا الصنيع التهكم بالممدوح والاستخفاف به ، وهذا لا يبعد إذا علمنا ولاء الفرزدق

١ –السابق ٣٨.

٢ –السابق ص٣٨.

للعلويين ، وعداءه لبني أمية والممدوح منهم ([1])، وأرى أن ابن شرف مسبوق بما ذكر فلا جديد سوى إعادته كلام السابقين في أسلوب موجز وحكم مقتضب .

رابعاً عيوب الوزن والضرورة الشعرية: وتشمل :

أ–كسر الوزن :

" قال أبو الريان: ومن شر عيوب الشعر كلها الكسر، لأنه يخرجه عن نعته شعراً، وليس مما يقع لمن نعت بشاعر."([2])

يرى ابن شرف هنا أن الوزن عماد الشعر، وإذا افتقد الشعر هذا فإن صاحبه ليس شاعراً وما قيل ليس شعراً.

ب الضرورة الشعرية:

"فأما الإقواء، والإبطاء، والسناد، والإكفاء، والزحاف، وصرف ما لا ينصرف، فكل ذلك يستعمل، إلا أن السالم من جميع ذلك أجمل وأفضل".([3])

يرى ابن شرف أن هذه العيوب مما يجوز للشاعر إذا إن هذا كما يقول سيبويه:" هذا باب ما يحتمل الشعر اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام"([4]) ، وإن كان ابن شرف يرى أن الشعر إذا سلم منها فهذا أجمل وأفضل .

خامساً: مجاورة الكلمة ما لا يناسبها ولا يقاربها:

"قال: ومن عيوبه المذمومة مجاورة الكلمة ما لا يناسبها ولا يقاربها، مثل قول الكميت:

حتى تكامل فيها الدلُّ والشَّنَبْ

وكما قال بعض المتأخرين في رثاء:

فإنّك غُيّبتَ في حُفرة تراكم فيها نعيمٌ وحورُ

وإن كان النعيم والحور من مواهب أهل الجنة، فليس بينهما في النفوس تقارب. ولا لفظة تراكم مما تجمع بين الحور و النعيم([5]).

---

[1] د.بسيوني قيود : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني ،مؤسسة المختار ، ط٣ ، ٢٠١٠م–١٤٣١هـ، ص٣٣

٢ --السابق ص٣٨.

٣ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص٣٨.

٤ –سيبويه : الكتاب ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، ط الخانجي بالقاهرة ، ط٢ ، سنة ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ،١/٥.

٥ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص٣٨–٣٩.

فهو يرى ضرورة المواءمة والانسجام بين الكلمات المتجاورة في النص الشعري ليتحقق به الامتاع ، وهذا العيب الذي ذكره ابن شرف مشهور لدى أصحاب النقد ، وذلك حين اجتمع نصيب والكميت وذو الرمة ، فأنشدهما الكميت قصيدته التي مطلعها:

وقد رأينا بها حوراً منعمة بيضاً تكامل فيها الدالُّ والشنبُ

فثنى نصيب خنصره، فقال له الكميت: ما تصنع؟ فقال: أحصي خطأك، تباعدت في قولك: " تكمل فيها الدل والشنب"

هلا قلت كما قال ذو الرمة:

لمياء في شفتيها حوة لعسٌ وفي اللثاث وفي أنيابها شنبُ"(١)

وواضح أن نصيباً يطلب من الكميت أن يقرن الكلمات إلى ما يشاكلها ، ويجمع بينها وبين ما يناسبها والدّل: الدلال ، وهو أن تظهر المرأة الجرأة في تكسر وملاحة كأنها مخالفة ، وما بها من خلاف ، والشنب : ماء ورقة وبردوعذوبة في الأسنان ، ولا مشاكلة بين الوصفين ،أما الأوصاف التي ذكرها ذو الرمة فهي متناسبة ؛لأن الحوة : حمرة إلى سواد، واللقت سمرة مستحسنة في الشفة ، والشنب وصف في الأسنان قال أبو العباس: والذي عابه نصيب من قوله: "تكامل فيها الدل والشنب".

قبيح جداً، وذلك أن الكلام لم يجر على نظم، ولا وقع إلى جانب الكلمة ما يشاكلها، وأول ما يحتاج إليه القول أن ينظم على نسق، وأن يوضع على رسم المشكلة"(٢).

سادساً الافتتاحيات الثقيلة :

"مثل قول حبيب أول قصيدة:

هُنَّ عوادي يوسفٍ وصواحبُه فعزماً فَقَدْماً أدرك الشأوَطالبُه

ومثل قول ديك الجنّ أولَ قصيدة:

كأنها يا كأنه خلَلَ الخلّة وقف الهلوك إذْ بغَمَا

فابتدأ هو وحبيب بُمضمرات على غير مظهرات قبلها، وهو رديء"(٣).

---

١ – المبرد : الكامل في اللغة والأدب ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي – القاهرة ،ط٣، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م ، ١١٩/٢.

٢ –الكامل في اللغة والأدب ١١٩/٢.

٣ –السابق ص ٣٩– ٤٠.

حسه اللغوي المرهف يستثقل البدء بالضمير من غير أن يتقدمه مرجعه الظاهر من هنا حكم برداءته وعدها من الافتتاحيات الثقيلة ، وأرى أن البدء بالضمير من باب التشويق ، وأن تذهب النفس في تصور مرجعه كل مذهب.

سابعا الافتتاحيات المتطير بها :

"قال: ويعاب أيضاً الافتتاحات المتطير بها، والكلام المضاد للغرض، كابتداء قصيدة أبي نواس التي أنشدها الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي يهنئه ببنيانه الدار الجديدة، فدخل إليه عند كمالها وقد جلس للهناء والدعاء، وعنده وجوه الناس، فأنشده:

أربَعَ البِلى إنَّ الخُشوع لبادِي عليك وإنّي لم أَخُنك ودادي

فتطير الفضلُ من ذلك ونكس رأسه، وتناظر الناس بعضهم إلى بعض، ثم تمادى فختم الشعر بقوله:

سلامٌ على الدُّنيا إذا ما فُقدتُم بنى بَرمك مِن رائحين وغادِي

فكمل جهله، وتم خطؤه؛ وزاد القلوب المتوقعة للخطوب سرعة توقع، وأضاف للنفوس المتوجعة بذكر الموت شدة توجع؛ وأراد أن يمدح فهجا، ودخل ليسر فشجا."(١)

عاب ابن شرف الافتتاحات المتطير بها، والكلام المضاد للغرض ؛لأنها تغير المراد فتدخل الشجن إلى النفوس من حيث أراد الشاعر السرور .

ثامناً قلق القافية :

" قال: ويقبح جداً الإتيان بكلمة القافية معجمة لا ترتبط بما قبلها من الكلام، وإنما هي مفردة لحشو القافية، كقول بعضهم:

فَبُلّغْتَ المنى برغم أعاديك وأبقالك سالماً ربُّ هود

فأنت ترى غثاثة هذه القافية، والله تعالى رب جميع الخلق وكل شيء، فخص هوداً عليه السلام وحده لضعف نقده وعجزه عن الإتيان بقافية تليق وتحسن"(٢)

إن الجانب الأخلاقي لم يغب في نقد ابن شرف لهذا الشاهد فحكم بغثاثة القافية ، وحكم ابن شرف فيه نظر وأرى –والله أعلم –أن تخصيص الشاعر هذه القافية هود عليه السلام ،قاصدًا إلى ذلك سبيلاً ، فهناك تشابه بين ممدوحه ونبي الله هود عليه السلام إذ رماه قومه بالسفاهة والكذب وفي هذا يقول الله تعالى "قال الملأ الذين كفروا

١ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص٤٠.

٢ –السابق ص٤١.

من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين(الأعراف٦٦)و على الرغم من ذلك أكرمه الله وأظهره عليهم ، وكذا ممدوحه أظهره الله وسلمه ، وبلغ المنى رغم كيد أعاديه وحقدهم ،فلا يجب علينا التسرع بالحكم على هؤلاء الشعراء إذ إنهم امتلكوا زمام البيان وكان لهم أن يقلبوا المعنى ويغيروا اللفظ ما شاءوا .

تاسعا الجفاء في النسب :

" قال: ويقبح أيضا الجفاء في النسب على الحبيب والتضجر ببعده، وغلظة العتاب على صده، كقول أبي نواس:

أجارة بيتينا أبوك غَيورُ ومَيْسورُ ما يُرجى لديك عَسيرُ

فإن كنتِ لا خلاّ ولا أنت زوجةٌ فلا بَرحت منّا عليك سُتور

وجاورتِ قوماً لا تَزَاورَ بينهم ولا قُربَ إلا أن يكون نُشور

فلم أسمع بأوحش من هذا النسيب، ولا أخشن من هذا التشبيب، وذلك قوله: إن لم تكوني لي زوجة ولا صديقة فلا برحت منا ستور للتراب عليك، ولا كان جارك ما عشنا نحن إلا الموتى الذين لا يتزاورون ولا يتواصلون إلى يوم النشور. على أن كلامه يشهد عليه بأنه شاك، وإنما المعروف في أهل الرقة والظرف، والمعهود من أهل الوفاء والعطف؛ أن يفدوا أحبابهم بالنفوس، من كل مكروه وبوس؛ فأين ذهبت ولادته البصرية، وآدابه البغدادية؛ حتى اختار الغدر على الوفاء، وبلغت به طباعه إلى أجفى الجفاء؟ فاعلم هذا وإياك أن تعمل به"(١).

نرى في نقد ابن شرف المثالية المطلقة وإعلاء الجانب الأخلاقي ؛ لذا عاب على أبي نواس غلظته وشكه وجفاءه في النسيب.

عاشراً السرقة :

والسرقة تكون للفظ ومنها سرقة للمعنى ، وسرقة المعنى أكثر ويعلل ابن شرف ذلك أنها أخفى من الألفاظ :" ومنها سرقة المعنى كله، ومنها سرقة البعض، ومنها مسروق باختصار في اللفظ وزيادة في المعنى، وهو أحسن المسروقات، ومنها مسروق بزيادة ألفاظ وقصور عن المعنى، وهو أقبحها؛ ومنها سرقة محضة بلا زيادة

١ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص٤١-٤٢.

ولا نقص. والفضل في ذلك للمسروق منه ولا شيء للسارق"(١) ،و" وكان في ذلك كله يعبد تقسيمات من سبقوه"(٢)

عيوب في شعر المتنبي:

وقد خصص ابن شرف خاتمة الرسالة للحديث عن بعض عيوب المتنبي وهي:" شبيهة بما أثاره غيره من قبل مع تدقيقات خاصة ينفرد بها "(٣)، وعدها ابن شرف مما يجوز الأمر فيه وعلل ذلك بقوله :" لصغر جرم العيب، وسلامة اللفظ الذي احتبى فيه، ثم يكون ذلك سبب غفلة النقاد أيضاً عنه مثل قول المتنبي:

كفى بك داءَ أن ترى الموت شافياً

فضع هذا الكلام على أنه إنما شكا داءه ووصفه بالعظم فعاد شاكياً نفسه، وجعلها أعظم الداء؛ لأنه أراد كفى بدائك داءً فغلط، وقال: كفى بك داءً. فصار: كفى بالسلامة داء. فالسلامة هي الداء. يريد: طول البقاء سبب للفناء. وقال الله تعالى: وكفى بنا حاسبين، فالله هو أعظم شهيد: فجعل المتنبي نفسه أعظم الداء، ولم يرد إلا استعظام دائه "(٤).

يلحظ أن الجانب الأخلاقي لم ينتف وصَاحبه بصيرة نافذة في نقده ارتفعت به إلى مستويات فنية أخرى ، فغلط المتنبي في التركيب ؛ لأنه أراد أن يشكو داءه فشكا نفسه وجعلها أعظم الداء.

ومما أخذه ابن شرف على المتنبي تعقيد الكلام مع علمه بقبحه ، ومن أمثلة ذلك :"

فيقول من ذلك ما يصف به ناقته:

إسآدها في المَهمه الأنضاء فتبيت تُسئد مُسئداً في نيّها

يقول في المدح:

وأبوك والثّقلان أنت محمد أنّي يكون أبا البريّة آدم

---

١ – السابق ص٤٢.

٢ – تاريخ النقد الأدبي عند العرب ٤٦٩/١.

٣ –السابق ٤٦٩/١.

٤ – إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ص٤٣.

ويقول في بيت آخر من قصيدة أخرى يمدح بها، والبيت لا يتعلق بشيء مما قبله فيما يظهر ولا فيما بعده بشيء:

عليك ولا قاومتَ من لم تُقاوم كأنك ما جاودتَ من بان جودُه

فابن شرف يرى أن مثل هذه الأبيات وإن ظهرت معانيها بعد استقصاء إلا أنها مذمومة السلك([1]) .

وعند هذا الحد أحس ابن شرف أنه استطاع ان يضع قواعد لتبيان ما هو سيئ في الشعر، شأنه في ذلك شأن كل من ألف في النقد قبله. فانتهى إلى النهاية التي بلغها وهي "وكفى أن ما سلم في جميع ما أوردناه فهو في حيز السالم .

[1] – السابق ص٤٤-٤٥.

الخاتمة:

بعد قراءة كتاب إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ، تأليف الإمام البارع أبي عبيد الله محمد بن شرف القيرواني ، قراءة نقدية تحليلية فإن البحث توصل إلى النتائج الآتية :

أولاً: أن رسالة ابن شرف تعد أول قالب نقدي في صورة مقامة طويلة ؛ وقد أحسن ابن شرف في طريقة عرضه كل الإحسان ، فأفصح عن تمكنه من ناصية العربية ،و براعته الأسلوبية ، وقدرته البيانية ، مع دقة في إصابة الغرض .

ثانيا: أن رسالة ابن شرف تدل على علو منزلته العلمية ، ودقة نظرته النقدية ؛ لأنه وفق في ترتيب الشعراء إذ وضع طرفة في المنزلة الثانية بعد امرئ القيس ، وبعدهما في المرتبة الثالثة يضع الشيخ أبا عقيل لبيد بن ربيعة العامري ، وبهذا وافق في هذا الترتيب رأي لبيد.

ثالثاً: أن ابن شرف القيرواني سبق أصحاب المنهج النفسي في النقد حين قال :إن شعر لبيد يدلك عليه قبل أن يُعلم من قائله .

رابعاً: أن ابن شرف ينكر – من طرف خفي – أكثر شعر أبي نواس، سوى الطرديات، ويراه مسئولًا عن النزول بالشعر إلى مستوى العامة وهذا حكم جديد زاده على النقاد.

خامساً: أن ابن شرف وقف عند كشاجم ، الصنوبري و الخبزأرزي في سياق يضم البحتري وابن المعتز وابن الرومي وأبا فراس الحمداني وأبا الطيب المتنبي ، وهذا يدل على حسه النقدي الذي ارتفع بهولاء إلى منزلة هؤلاء.

سادساً أن ابن شرف أظهر شعراء المغرب في رسالته إلى جانب المشارقة، حين تحدث عن ابن عبد ربه وابن هانئ وابن دراج القسطلي وأبي علي التونسي.

سابعاً: أن ابن شرف اعتمد الأساس الديني في أحكامه النقدية ، وهذه الأحكام تدل على نفاذ بصيرته ويلحظ ذلك في أحكامه النقدية على ابن هانئ الأندلسي وامرئ القيس وزهير.

ثامناً: أن ابن شرف ذكر عددًا من العيوب مثل اللحن وخشونة الكلمات ، وتعقيد وكسر الوزن ومجاورة الكلمة ما لا يناسبها، والافتتاحات الثقيلة، والمتطير بها، وقلق

القافية، والجفاء في النسيب، والسرقة، وأتى بأمثلة طال ترديد النقاد لها ، مما يدل على سعة اطلاع الناقد وإحاطته بالكتب النقدية السابقة عليه ، وانتهى إلى النهاية التي بلغها من سبقه في هذا الشأن ؛ وهي وكفى أن ما سلم في جميع ما أوردناه فهو في حيز السالم.

المصادر والمراجع:

- أحمد الشايب: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط٧ ، ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م.
- إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،ط٤، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م .
- بسيوني قيود : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني ،مؤسسة المختار ، ط٣ ، ٢٠١٠م- ١٤٣١هـ.
- أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ت: عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف .
- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر : المكتبة العصرية ، مكان النشر : لبنان / صيدا .
- الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني :شرح المعلقات السبع للزوزني ، لجنة التحقيق في الدار العالمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م .
- سيبويه : الكتاب ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، ط الخانجي بالقاهرة ، ط٢ ، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي: معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ت: إحسان عباس ، دار العرب الإسلامي ،بيروت ، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م .
- صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي: الوافي بالوفيات : ، طالعه يحيى بن حجي الشافعي بن أيبك الصفدي ، أحمد بن سعود تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م .
- طه حسين:

أ- مع أبي العلاء في سجنه ، دار المعارف ، د ت .

ب- مع المتنبي، دار المعارف ، ط١٣ ، د ت .

- عباس محمود العقاد :

أ- رجعة أبي العلاء ، ط٢ .

ب-ابن الرومي . حياته من شعره ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٣ م .

ج- أبو نواس . الحسن بن هانئ ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، د ت .

- عباس محمود العقاد ، إبراهيم عبدالقادر المازني : الديوان في الأدب والنقد ، دار الشعب ، ط ٤ ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
-د . عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، ط٣ ، ١٩٨٢م ، تونس.
- عبد القادر بن عمر البغدادي :خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ت : محمد نبيل طريفي/أميل بديع اليعقوب ، الناشر : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨م .
- أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني: إعلام الكلام المسمى (مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد) ، ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط١ ، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.
- د. عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م .
-ابن عقيل :شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل تأليف : محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط٢٠، دار التراث القاهرة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
-عبير عبدالستار فتح الله :القضايا النقدية في كتاب مسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني، ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات الإسكندرية ، جامعة الأزهر ،٢٠٠٧م ،
- فازية مصباحي القضايا النقدية في كتاب مسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات جامعة مولود معمري تيزي وزو ،٢٠١٢م.
- د . فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية : مدخل نظري و دراسة تطبيقية ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٠م.
- أبو الفرج الأصفهاني :الأغاني ، ت : سمير جابر ، دار الفكر - بيروت ، ط٢.
- ابن قتيبة: الشعر والشعراء،ت:أحمد محمد شاكر، دار المعارف بالقاهرة، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .
- لَبِيد بن ربيعة بن مالك: ديوان لبيد بن ربيعة العامري ،اعتنى به: حمدو طمّاس ،دار المعرفة ، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- المبرد : الكامل في اللغة والأدب ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي – القاهرة ،ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- د. محمد خطابي :لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م .
-محمد بن سلام الجمحي :طبقات فحول الشعراء ،ت : محمود محمد شاكر: دار المدني- جدة.
- د. مصطفى سويف : الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، دار المعارف ١٩٥٩م .
- ابن منظور :لسان العرب ، ، دار صادر – بيروت ، ط٣، ١٤١٤ هـ .